

مصر و تونس و الإنتفاضات العربية : كيف وصلت إلى طريق مسدود و كيف الخروج منه

(مقال لسمويل ألبار بمجلة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، "تمايزات" عدد 3 / 2014)

Demarcations Issue 3, Winter 2014

الرابط على الأنترنت :

<http://www.demarcations-journal.org/issue03/egypt-tunisia-and-arab-revolts-impasse.htm>

ملاحظة لا بدّ منها : هذه ترجمة غير رسمية .

This is not an official translation.

كلمة لكاتب المقال :

شرعنا فى تأليف المقال التالى فى بداية 2013 . و قد صدرت و نشرت نسخة سابقة منه (" الربيع العربى فى طريق مسدود - هل هناك مخرج منه ؟ ") و وزّعت فى مارس من هذه السنة باللغة الأنجليزية (فى مصر) و بالفرنسية (فى تونس) . و مذكّك شهدت المنطقة و شهد العالم تطوّرات دراماتيكية و صارت بعض المسائل و الديناميكية أوضح و ثبتت أفكار معيّنة فى الممارسة و تقدّم فهمنا . و صيغت هذه النسخة المنقّحة و الموسّعة بفضل تبادل أفكار و آراء مع أناس من تلك البلدان و بوجه خاص بفضل تعاليق و إقتراحات ناشري مجلة " تمايزات " .

و ينطوي هذا المقال على جزئين . يتناول جزؤه الأوّل بالبحث قضايا و حججا برزت فى تلك البلدان و غيرها من الأماكن و يركّز على تجربة مصر و ظروفها . و جزؤه الثانى تحليل أشمل لما ستكون عليه الثورة الإشتراكية فى مثل هذا البلد و كيف يستطيع الشيوعيون الشروع فى جعل هذه الرؤية قوّة حية و ملموسة فى صفوف الشعب .

تعدّ مصر و تونس ساحتان أمامية لأتّهما البلدان الوحيدان أين أطاحت الإنتفاضات الجماهيرية بالأنظمة . و لم يحدث ذلك فى ليبيا (أين لعب التدخّل الغربى الدور الحاسم) ، و لم يحدث لا فى اليمن (أين ظلّ النظام القديم تقريبا هو هو) و لا فى سوريا و لا فى البحرين أو بلدان عربية أخرى حيث لم يتغيّر النظام القديم منذ 2011 . وقد أثار إنتصار هتين الإنتفاضتين قضايا جوهرية موضوع نزاع ليجعلها أوضح ، رغم الإختلافات الكبرى بين البلدين . و هذا صحيح بصفة خاصة فى ما يتعلّق بمصر حيث دون التنبئ بالمستقبل ، يمكن أن نقول إنّ مرحلة تشارف على النهاية .

الجزء الأوّل

من شعب موحد إلى شعب مقسّم :

"الشعب يريد إسقاط النظام " ! تعبّر هذه الكلمات عن وحدة إرادة نادرا ما رأيناها تاريخيا و غالبا ما نتذكّر ها ، حيث الناس بملايينهم نهضوا فجأة و ما كان يبدو أبديا تداعي فجأة أيضا . نظامان - ظاهريا

عاتيان بقدر ما هما عنيفان – إنهارا و موجات الصدمة شملت الكوكب . لكن الإنتفاضات العفوية ضد الطغاة المكروهين التي بدت و كأنها توحد الشعب أو على الأقل أوسع القطاعات الناشطة منه ، أبرزت ظاهرة معقدة و متناقضة . و الآن الشعب أبعد ما يكون عن الوحدة في مصر و تونس ، تتنازعه عصابات رجعتان تحت الرايات الحربية للإسلام السياسي و/ أو الديمقراطية الرأسمالية المدعومة من طرف الإمبريالية الغربية .

لقد كان هذان التياران يعملان لمدة طويلة في تونس و مصر حتى منذ لحظة فرض ملايين الناس في الشوارع طرد بن علي و مبارك. لكن قبل ذلك كان الشعب موحدًا نسبيًا وكان يمسك المبادرة بيده ممليًا على العسكريين في البلدين التراجع و التخلي عن الرجل القوي الذي كان يعتبر في وقت ما أحد ركائز الإستقرار . و طفقت الألسنة التي أجبرها القمع و التقاليد و إنقسام المجتمع إلى طبقات على الصمت تتكلم فكان الناس يستمعون إلى كل شيء بذهن مفتوح و كان عدم الرضاء العميق على النظام القائم غير قابل للهزيمة .

و الآن الناس ليسوا متأثرين و حسب بهذه التيارات بل إلى درجة كبيرة يهرعون إلى الإلتحاق بهذه الكتل أو تلك من " الكتل المتنافسة " التي يقف على رأسها ممثلين للنظام الرجعي و أعداء لأفضل الطموحات التي قاتل الناس و ماتوا من أجلها منادين ب " الكرامة " و ب " الخبز و الحرية و العدالة الإجتماعية " . و في حين أنّ الإسلاميين جعلوا عديد الناس يخشونهم و يرمون بأنفسهم بين ذراعي الجنرالات ، فإنّ حصن الجيش المجرم ينحو نحو تعزيز دعوة الإسلام السياسي . و أسوء مشكل هو أنّ عددا كبيرا من الناس قد وقع إقناعهم بأنّه لا وجود لبديل آخر عدا شكل أو آخر من الحكم الرجعي .

من جهة ، تقف المكونات الليبرالية للقيم الغربية المتميزة ب " الحرية " لا سيما " السوق الحرّة " التي سحقت الغالبية العظمى من الناس في كلّ بلد ، و الإعتقاد المناسبة لها في الديمقراطية الرأسمالية من النمط الغربي و نظامها الإنتخابي الذي لم يأت أبدا بتغييرات أساسية في أي مكان . ليس لديهم سوى النزاع و القمع يوقرانهما للجماهير المدنية المفكرة و لغالبية السكّان الكثيفين في المناطق الريفية . ففي مصر عندما تخلى الليبراليون عن الكلام المنمّق عن حكم الغالبية و الحقوق السياسية و حكم القانون و مدّوا أيديهم إلى " القوات المسلّحة للأمة " التي رغم إدعاءات العديد ممن يسمّون ماركسيين في مصر ، لم تكن مطلقا " القوات المسلّحة للشعب و الأمة " . لقد كان الجيش دائما العماد الأساسي للطبقات المستغلّة الحاكمة المصرية المرتبطة بالإمبريالية و قد غذّته و قادته من أنفها الولايات المتحدة طوال العقود الأربعة الأخيرة .

لم تكن القوات المسلّحة لتقفز إلى الحلبة بهذه السهولة إن لم تتلقّى المساندة الجماهيرية التي نظّمها الليبراليون و " اليساريون " و منهم المنظّمات الشبابية التي عبّأت للمظاهرات في ساحة التحرير و ساحات أخرى في 30 جوان 2013 لدعم الجنرالات لإنقاذهم من الحكم الإسلامي ، و ثمّ لإصباح الشرعية على إنقلاب 3 جويلية . في تلك الأشهر كان بعض الذين يحاولون الآن أن يفصلوا أنفسهم عن جرائم الجيش يصرخون " الشعب و الجيش يد واحدة " .(1).

هذا الشعار الذي ظهر خلال الإنتفاضة ضد مبارك و بلغ قمّته عندما تخلى عنه الجيش ، لم يفعل سوى التلاشي لاحقا تلك السنة لما أطلق الجيش النار على المسيحيين و الشباب و آخرين كانوا يتظاهرون ضده . حينذاك كان الإسلاميون يغازلون الجيش عوض معارضة ذلك القمع العنيف . و في ما بعد أعطاهم الجيش موافقته على تشكيل حكومة و لو أنّه أبدا ما تخلى عن الوزارات المفاتيح و مواقع أخرى

و قوّة الفيتو . واليوم يمثّل ذلك الشعار أكثر من وهم . فى مواجهة الفوضى الحالية الصعبة و المخيفة ، هو برنامج لإعادة تركيز النظام القديم و أسوء . لا يمكن أن تحدث عملية " إعادة تركيب " لإعادة اللعب من جديد .

و من الجهة الأخرى ، يوجد الإسلاميون الذين يدعون أنّهم يمثّلون " التحرّر " من الهيمنة الغربية و النفاق و الإذلال فى حين أنّهم يماسسون الإقتصاد و العلاقات الإجتماعية و التفكير المتخلّفين الذين ساعدوا على إبقاء مصر ضعيفة و عُرضة لهيمنة رأس المال الأجنبي . مشروعهم هو مزج الإستغلال و الإضطهاد و اللامساواة مع عزاء ديني كاذب و إحسان جامع منافق و تضامن خانق ل " الجماعة المؤمنة " التى تلغى التفكير النقدي .

إنّهم لا يبحثون عن تحرير الأمة فما بالك بأن يجعلوا ممكنا إزدهار إبداع الناس و المظاهر الإيجابية لثقافتهم كجزء متحرّر من الإنسانية جمعاء ، قادر على البناء على أساس كافة المكاسب الإنسانية . مبدؤهم الأكثر محورية – " الإسلام هو الحلّ " – يمنع توحيد الغالبية العظمى من الناس . عوض ذلك يرغبون فى توحيد الذين يريدون الخضوع لهم إنطلاقا من إيمان ديني خاص و إجبار البقية على القبول . وهو ما يستبعد المسيحيين و أتباع فرق إسلامية أخرى (مثل الصوفيين) و السنّة الذين يرفضون الحكم التيقراطي و اللادريين و الملحدين ، أو بكلمات أخرى ، نسبة كبيرة من السكّان . و حلّهم لل " فوضى " المنسوبة للغرب هو فرض الدولة للسلطة الدينية و العلاقات بين الناس يُملئها النظام الأبوي الذكوري المحوري فى رؤيتهم للنظام الإجتماعي و الأخلاقي .

لا يمكن توحيد " الشعب " بتفكير أمل :

و حتى و لو أنّ بعض معطيات أحداث جويلية و اوت 2013 تشبه أحداث 2011 ، على غرار الحشود الهائلة التى كانت تملئ الشوارع ، فإنّ لها طابعا مختلفا . و بالفعل ، كلمة " الشعب " لا تعنى ذات الشيء الآن .

هل كون الحكومات الإسلامية وقع إنتخابها فى تونس و مصر و أنّه بوسع الإسلاميين أن يوحّدوا أعدادا كبرى فى كلا البلدين ، أو العكس ، أنّ جنرالات مصر إستطاعوا أن يجعلوا الملايين يساندون إنقلابهم ، يجعلنا نغضّ النظر عن أمر أساسي أكثر حتى ألا وهو أنّ الجانبين يمثّلان إستعبادا للغالبية العظمى من الشعب – سواء فهم الشعب ذلك أم لم يفهمه ؟ لقد كانت الحشود فى ساحة التحرير و فى الإسكندرية و مدن أخرى ، المطالبة بتنحّي مبارك فى جانفي 2011 تمثّل أقلية من السكّان ، بيد أنّها كانت تمثّل مصالح الشعب . و حشود 30 جوان 2013 و بعده المساندة للإنقلاب – و كذلك المساندة للإخوان المسلمين – مهما كانت كبيرة ، لم تكن تمثّل تلك المصالح الشعبية .

و مع ذلك ، عقب سقوط مبارك ، غالبية ما يسمّى نفسه يسارا و غالبية المنظّمات الشبابية التى شقّت الطريق فى مقدّمة الحركة المناهضة لمبارك أمست تطوّح بين هذين البديلين الرجعيين .

و على سبيل المثال ، ساندت المنظّمة التروتسكية المصرية ، الإشتراكيون الثوريون ، مرشّح الإخوان المسلمين ، محمّد مرسي ، فى الإنتخابات الرئاسية بتعلّة أنّ إنتصاره سيمثّل صفقة لقوى النظام القديم . (2) . ثمّ لمّا إكتشفت فجأة أنّ الإسلاميين يتصرّفون كإسلاميين ، و لمّا تراجعت المساندة الشعبية لحكومة الإخوان ، ساعدت على تنظيم المظاهرات فى صالح الجيش و باركت الانقلاب معتبرة إستبعاد مرسي

" ديمقراطية الثورة الشعبية ، ديمقراطية مباشرة تخلق الشرعية الثورية " . و بعد ذلك ، لمّا تصرّف الجيش الرجعي كجيش رجعي – مستعملا قنّاصة و سيارات مصفّحة و مجرمين معروفين و كلّ شيء آخر إستخدموه ضد متمرّدي ساحة التحرير طوال 2011- و خاصة بعد أن وجد حتى محمد البرادعي و قادة لبيريون آخرون من الضروري أن يناؤا بأنفسهم عن مجازر الطغمة العسكرية و التحالف معها بدأ يتفكّك ، عندها تبعهم الإشتراكيون الثوريون إلى خارج ذلك التحالف .

و رغم إدّعائهم بأنهم لم يقدّموا " أبدا و لا يوما واحدا " مساندة سواء للإخوان أو للجيش ، في الواقع قد ساندتهما الإشتراكيون الثوريون . و كذلك من غير الصحيح أن أي من هؤلاء الذين يهيمنون اليوم على الساحة السياسية ، الجيش و القادة السياسيون الليبراليون أو الإسلاميون ، قد " خانوا الثورة " على حين غرّة . فقد بيّنت الأحداث أنّه لم توجد ثورة و أنّ هذه القوى الطبقية الحاكمة قد خدمت دائما المصالح الرجعية ، و لم تتغيّر أبدا طبيعتها و أهدافها و قد وقعت المناورة بها وسط أوضاع معقّدة و متغيّرة . كلّ حركة ثورية لا ينبغي أن تفهم هي نفسها ذلك و حسب ، بل أن تبذل قصاري جهدها لتوصل ذلك الفهم لأكبر عدد ممكن من الناس ، عوض التذليل لتركيبات متنوّعة من الديمقراطية البرجوازية و الأوهام الموالية للغرب و الأوهام الدينية التي قد نشرها الجانبان المتحاربان الآن صلب جماهير الشعب و التي تسبّبت لزمن طويل في عذاب الشعب .

و الأفكار التي نظّرت لها هذه المجموعة (التي لا هي ثورية و لا هي إشتراكية) تجسّد مفاهيم أوفر إنتشارا بشكل أقلّ و عيا ذاتيا و هذا ما يجعل من المهمّ دحضها : " عدد الناس الذين تظاهروا في ذلك اليوم الأسطوري [30 جوان] يقدّر بأنّه فاق 17 مليون مواطن وهو حدث غير مسبوق في التاريخ . و هذا يتجاوز في دلالاته أية مشاركة لبقايا النظام القديم أو المساندة الظاهرة للجيش و الشرطة . إنّ المظاهرات الجماهيرية للملايين نادرة إلى أقصى حدّ في تاريخ الإنسانية و تأثيرها على و عي الشعب و ثقته في نفسه و في قدرته على تغيير مجرى التاريخ يفوق حدود الشعارات المرفوعة و البدائل السياسية المعروضة " .(3)

حقّا ؟ هذا المنطق – أنّ عدد الناس المساندين لشيء أهمّ من الشيء الذي يتمّ الدفاع عنه – هو ما جرّ الإشتراكيين الثوريين إلى مساندة الإخوان المسلمين و إسلاميون آخرون لسنوات ، و قد ساندوا حكومة مرسى ذاتها التي ينادون اليوم بالإطاحة بها . وفق هذا المنطق ، بما أنّ الإسلاميين في تونس بإمكانهم أن ينظّموا مسيرات أكبر (وأكثر حيوية) من سياسيي " اليسار " المتراجع و الليبراليين ، على " الثوريين " بعد أن يساندوا حزب النهضة . و مواصلين ذات المنطق ، ينبغي علينا أن نستخلص أنّ ظهور أعداد غفيرة في المسيرات الجماهيرية للنازيين في نورمبورغ (حوالي المليون في 1938) " تجاوز حدود الشعارات المرفوعة و البدائل السياسية المعروضة " و مثّل قفزة " نادرة إلى أبعد الحدود " في " و عي وثقة الشعب في نفسه و في قدرته على تغيير مجرى التاريخ " . و الذين خرجوا لمساندة بابا أو آخر – لعلّها من أعظم الأحداث الجماهيرية العالمية في العقود الماضية - بثلاث ملايين في ريو بالبرازيل في جويلية 2013 ، يجب أن يكونوا متقدّمين " إلى أبعد الحدود " . و هذه المقارنة الأخيرة مفيدة بصفة خاصة لأنّ التعليل الذي يتقدّم به الإشتراكيون الثوريون للتذليل للإسلاميين هو أنّ معظم المصريين يؤمنون بالدين – كما لو أنّه ليس بوسعهم أبدا بلوغ أي فهم آخر و إنّما محكوم عليهم بالتخلّف و بظلام الجهل .

إنّ مظاهرات جوان و جويلية الموالية للجيش فى مصر لم تكن تشبه مظاهرات النازيين – لقد كانت مضطربة و أسيتت قيادتها – لكن لها نتائج ضارة إلى أبعد الحدود : لم تمكّن العسكريين من الإنقضاض على الفرصة و العودة إلى الحكم بصفة مباشرة فقط ، بل وضعت أيضا المبادرة بأيدي الجنرالات و وقّرت إمكانية إيجاد وضع غير موالي – فظيع . لم يكن هذا تراجعاً هائلاً للحركة التى إنطلقت بالمطالبة بـ "الخبز و الحرية و العدالة الإجتماعية" و حسب و إنّما مثلّ إنقلاباً فى المسار و خسارة كبرى" لوعي الشعب و ثقته فى نفسه و فى قدرته على تغيير مجرى التاريخ . " و هذا التلخيص للمجموعة التروتسكية ، لنستعير كلمات لينين ، يشبه أن نتمنى للناس تكرر الأمر ، يوم جنازة . ما يحتقى به هو بالضبط الأكثر مأساوية حول هذه المظاهرات و الوضع مذّك : ملايين الناس يتوحّدون حول شعارات و بدائل سياسية – من الجانبين و ليس فقط من جانب واحد – تمثّل طريقاً مسدوداً و تعكس إضطراباً منتشرًا و من الوارد قاتلاً . على الثوريين أن يتجاوزوا أنفسهم و ينقدوا إن كان الملايين قد إستيقضوا على الحياة السياسية و لن يفرض عليهم العودة إلى النوم .

أجل ، يمكن للمشاركة الجماهيرية فى الحياة السياسية أن تمثّل فرصاً للتقدّم الثوري ، لا سيما فى زمن مثل زمن إزاحة مبارك عندما كان الناس يضعون النظام القديم موضع السؤال و ينوون التضحية للقضاء عليه . لكن التذيل لما يُعتبر أغلبية كان على الدوام غلط ، حتى قبل أن يؤدّي إلى الحدّ المخزي لتبرير مدّ أيديهم للجيش للتخلّص من حكومة الإخوان المسلمين ثمّ وصف الإنقلاب – مقدّمة لحمّام دم - بانتصار الشعب . هذا مثال للضرر الذى يمكن ان يحدثه ما إصطلح عليه بـ "الإبستيمولوجيا الشعبوية" (4).

إنّ ما يفكّر فيه الناس مهمّ . و من واجب الشيوعيين المتسلّحين بفهم علمي للواقع أن يعملوا على التقدّم بذلك الفهم – ذلك الوعي – فى صفوف الجماهير الشعبية ذاتها ، التى لا يمكن لفهمها العفوي أن يتخلّص من برائن أفكار الطبقات الحاكمة – الإيديولوجيا السائدة – و ظروف حياتها التى أوجدتها أنظمة الإستغلال التى تغذى الجهل و تفرّضه بالقوّة . هذه نقطة أساسية للفهم الشيوعي الثوري للثورة و للخطّ الفاصل بين الذين يهدفون إلى إلغاء كلّ العراقيل المادية و الإيديولوجية أمام مستقبل يكون فيه البشر جماعات و أفراداً أحراراً فى التغيير الواعي للعالم و لأنفسهم و أولئك " المنقذين المتواضعين " (للإقتباس من نشيد الأممية) الذين ليس بوسعهم رؤية مثل هذا العالم و الذين يعتبرون الجماهير الشعبية أنعاماً .

أجل ، على الثوريين أن يعملوا على توحيد غالبية الجماهير الشعبية خلال سيرورة الأحداث لكن يجب أن تكون أية وحدة صلبة على أساس بديل ثوري حقيقي – علمي ، و ليس على أمنيات – و بالفعل ، هؤلاء " الإشتراكيين " و غيرهم يساهمون فى تقسيم الشعب وفق خطوط رجعية . سيوجد على الدوام إستقطاب فى صفوف شعب حول أقطاب إيديولوجية و سياسية – و ما نحتاجه هو إعادة صياغة الإستقطاب بحيث يكون أحد الأقطاب عملياً يمثّل حلاً ثورياً و ليس إستقطاباً رجعيّاً بين حلّين رجعيين .

و بينما كان الناس من كافة الطبقات الإجتماعية متّحدون فى الأساس ، و إن كانت الوحدة بعيدة عن أن تكون تامة ، فى الإطاحة بين علي و مبارك ، فإنّ الإستقطاب السياسي اليوم غير مناسب من وجهة نظرة الثورة . فى كلّ من مصر و تونس ، الطبقات الدنيا من المناطق الريفية و الأحياء القصديرية و الطبقات الوسطى المدنية منقسمة فيما بينها و ضد بعضها البعض . و هذا الوضع سيئ بما فيه الكفاية ، لكنه ينطوى على إمكانيات أسوأ حتى : كارثة دموية فيها تتقاتل الطبقات الشعبية ليس من أجل مصالحها المشتركة الحقيقية بل ضد تلك المصالح و ضد بعضها البعض مثلما هو الحال فى سوريا ، منتقمين

لإضطهادهم الخاص ضد أمثالهم من المضطهدين . قد يبدو من غير المعقول أن تنزلق مصر و تونس و بلدان عربية أخرى إلى هذا المسار ، و صحيح أنّ مصر و تونس و سوريا مختلفة جدًا ، إلاّ أنّه قبل سنتين من الآن كان غير معقول لدي غالبية السوريين أن يتصوّروا إمكانية إنتهاء بلدهم إلى ما إنتهى إليه اليوم .

و تجدر اليوم عقد مقارنة بين الوضع المزري في سوريا الآن بتاريخ الحرب العالمية الأولى ، ليس لقول إنّ وضع اليوم متساوي مع وضع الحرب العالمية لكن للتشديد على ما يمكن أن ينهض به تحليل نظري ، إن كان صحيحا و يعترف بالبديل الثوري الذي لا تعترف به " الحكمة السائدة " . حينها كافة " الإشتراكيين" الأوروبيين ، بإستثناء بارز للينين و الحزب البلشفي في روسيا ، إنتهوا إلى مساندة كلّ لطبقاته الحاكمة في الهجوم المتبادل . و وُجد إعتقاد عام مقبول عالميًا بأنّ الخيار الوحيد للجماهير كان من من الطبقات الحاكمة ستنتصر في الحرب ، أو ما ستكون عليه أسس مثل هذا الإنتصار. برؤية ثاقبة علمية عظيمة ، شدّد لينين على أنّ الحرب التي إنطلقت كحرب إمبريالية لن تنتهي بالضرورة كحرب إمبريالية و إنّما يمكن تغييرها إلى نوع مختلف من الحرب الأهلية الثورية التحرّرية ، إلى ثورة بروليتارية . و هذا بالضبط ما قاد البلاشفة و الجماهير الثورية في إنجازها في روسيا .

من غير الممكن أن نمحو العوامل التي تجعل من الوضع الراهن في البلدان العربية غاية في الخطورة و الرعب – لا يمكن القبول بحصر الشعب في " خيارات " مميتة تعرض عليه . إنّ ذات عوامل التفكك و الرعب تحمل أيضا معها إمكانيات إستقطاب سريع و أكثر مواتاة في المجتمع و ظهور بديل ثوري حقيقي . و هذا الإستقطاب ليس بوسعه أن يفرز إلاّ إذا كان بمستطاعه على الأقلّ التعويل على قوّة أولية تمثّل و تقاوم من أجل المصالح و المسؤوليات المشتركة الثورية الحقيقية للشعب و أن تشرع في الظهور و تصمد جيدا. على هذا النحو يمكن لبديل ثوري أن يبدأ في التحوّل إلى قوّة ماديّة حقيقية في المجتمع متحدّيًا البدائل الرجعية التي يجد الشعب نفسه اليوم مضطّرًا للاختيار بينها – حركة تقاوم لإرساء دولة ثورية ضد هذه البدائل .

الإنتفاضات و الثورة :

لقد وقرت الإنتفاضات ضمن الطبقات الحاكمة التي أبقت الجيشين التونسي والمصري بعيدا عن التدخّل الحاسم لإنفاذ النظام القديم و منفذا للتمرّدات لكنّها أيضا منبع للتفكير الأمل – حول حيادية الجيش و مصالح و نوايا الولايات المتحدة و حلفائها و قوّة الحركة العفوية .

الإطاحة بطاغية لا تساوي الإطاحة بنظام . حدثت تغييرات في الحكومات لكن لم تحدث بعدّ ثورة بالمعنى العلمي . و فوق ذلك ، النظام القديم يدقّ الباب عائدا مع قتال الممثلين الجدد و القدامى للعلاقات الإقتصادية و الإجتماعية السائدة لفرض نهاية للفوضى حسب معاييرهم الرجعية الخاصة.

لم يكن الجيش المصري على الدوام فقط حجر زاوية الدولة مثلما هو الحال دائما في ظلّ كلّ من الديمقراطية الانتخابية و الطغيان السافر ، إلاّ أنه إضافة إلى ذلك لم يتخلّى هذا الجيش الخاص أبدا عن مواقعه المفاتيح . فقد سمح لمرسى بأنّ يصبح رئيسا في ظلّ صفقة ضمن بموجبها للقوات المسلّحة أن تتحكّم مباشرة في وزارة الدفاع (مع حصانة تامة من المراقبة المدنية) و وزارة الداخلية (الشرطة و العصابات المتنوّعة من المجرمين التي نظّمها مبارك) و التمتعّ بسلطة فيتو بشأن السياسة الخارجية .(5)

و لا يعنى هذا أنه لم توجد إختلافات عميقة بين الإخوان المسلمين و القوات المسلّحة مثلما سنناقش لاحقاً و لا ينكر أهمّية التغييرات السياسية التى يسعى الجنرال السيسى إلى فرضها . بيد أنّ جوهر المسألة هو أنّ ذلك الشكل من الدكتاتورية البرجوازية – الديمقراطية الإنتخابية – وقع تعويضه بآخر ، بحكم عسكري سافر تقريباً على الأقلّ مؤقّتا ، رغم الوعد بإجراء إنتخابات . المسألة هي أنّ الولايات المتحدة و الطبقات الحاكمة لمصر المرتبطة بها ستستعمل كلّ مزيج من العنف و المغالطة تعلّة للحفاظ على قبضتها على مصر و لا يهّم من يشغل الوظائف الحكومية .

ومع ذلك ، كامل هذه السلسلة من الأحداث لم تبيّن أنّ القوّة الأمريكية غير قابلة للهزيمة . بالعكس تماما – على الدوام كانت الولايات المتحدة تحاول تحويل الأمور لصالحها وسط وضع غير متوقّع و عادة خارج عن السيطرة . هذا هو المأزق الذى يواجهه صناع سياسة واشنطن فى مصر و تونس و بعض البلدان العربية الأخرى : مع الإسلاميين أم ضدّهم ، الوضع فى منتهى التعقيد و الخطورة بالنسبة للإمبريالية الأمريكية .

عدم الإعتراف بالعوامل المستمرّة المواتية للثورة فى المنطقة سيكون مأساوياً . إنّ التناقضات الإقتصادية و السياسية و الإجتماعية و الإيديولوجية العميقة التى أفرزت الإفتفاضات العربية لم يقع حلّها ؛ فى غالبية هذه البلدان لا يمكن للأشياء أن تعود إلى سابق عهدها . لقد إستيقظ الناس على الحياة السياسية و صاروا أكثر ثقة فى قوتهم الخاصة و قوّة بعضهم البعض ، و أظهروا قدرة على الشجاعة و التضحية الهائلتين و كسبوا معنى أنّه حتى أنظمة قائمة لوقت طويل و متخذة بعمق يمكن الإطاحة بها . و كذلك ، لا يوفّر الوضع العالمى إستقراراً محلياً طويل الأمد ، بخاصّة فى مثل هذه المنطقة الإستراتيجية و المتنازعة مثل الشرق الأوسط .

و سيكون أيضاً من الخطأ و المأساوى التعويل على معالجة مواتية لهذه التناقضات عبر السير العفوي للأحداث . سيعنى ذلك ترك المستقبل بأيدي مختلف القوى الرجعية المتنازعة – و مهما حصل ، يمكن أن نكون متأكّدين أنّ ذلك المستقبل سيكون بشعاً . وهذا ليس ما ضحّى من أجله الكثير من الناس .

كيف يمكن لقيادة شيوعية ثورية أن " تغير اللعبة " :

فى هذه اللحظة ، فى كافة البلدان العربية ، و عموماً فى العالم بالمناسبة ، لم يفقد الشيوعيون الثوريون على تعبئة الشعب و بصورة أخصّ الشرائح المفقرّة من الجماهير فى قوّة سياسية تنجز نوع التغيير الجذري الذى تتطلّبه ظروفهم و تحرير البلدان المضطّهدة و تحرير الإنسانية . و هذا جزء مركزي من المشكل الذى لم يقدر الشباب و غيرهم من الثوريين الواعين على معالجته على أساس الممارسة وحدها ، رغم نضالهم و تضحياتهم البطولية . إنّه جزء مفتاح يتعيّن على كلّ من يبحث عن تغيير ثوري حقيقي أن يعمل على تغييره .

أفضل ما وُجد فى الحركات ضد بن علي و مبارك لا يمكن أن يزدهر اليوم دون قيادة جديدة بإمكانها أن تحدّد بصورة صحيحة المصالح الواقعية ، الأساسية للشعب و على ذلك الأساس تميّز بين الأصدقاء و الأعداء و تشرع فى توحيد قطاعات واسعة من جماهير مختلف الشرائح و تحشدها لإلحاق الهزيمة بهؤلاء الأعداء و تفتكّ سلطة الدولة و تمارسها لتغيير البلاد و الناس و فى النهاية العالم .

ما هناك حاجة إليه هو " مغير لعب " حقيقي ، نواة من النساء والرجال تقودهم أعلى الأهداف الثورية و النظرية العلمية – شيوعيون ثوريون – يمكن أن يقودوا الآلاف ثم الملايين و يعالجوا هذه التناقضات على نحو يكون في مصلحة الغالبية العظمى من الناس في المنطقة و العالم بأسره .

و يقتضى هذا تشكّل مجموعة من أناس يمتلكون هذه الرؤية و مخطّط لتحقيقها فى الواقع و جرأة و تصميم قائمين على العلم لتخطّى العراقيل و إنجاز مهمّات غاية فى الصعوبة . فى عالم اليوم ، هناك النظرية الشيوعية الثورية التى يمكن تطبيقها لجعل هذا ممكنا : الخلاصة الجديدة للشيوعية الثورية التى تقدّم بها بوب أفاكيان .(6) هذا المنهج و هذه المقاربة و جملة الأعمال تحتاج إلى أن ندرسها بعمق و نناقشها بشراسة و نقارنها بلا رحمة بالإستراتيجيات السياسية الخاطئة و الأفكار الكامنة وراءها التى تمثّل عائقا لإغتنام فرص الثورة فى مصر و تونس و بلدان أخرى .

مشدداً على رؤية ثاقبة عبّر عنها ماركس و مطوّرا إيّاها ، أشار أفاكيان إلى أنّه " فى الواقع الإطاحة الفعلية بالنظام القائم غير ممكنة عملياً إن لم تقع الإطاحة به أولاً نظرياً ، أي ، فى فهم عديد الناس " .(7) و قد يبدو هذا منافياً للبصيرة فى جوّ سياسي يعتقد فيه بعض الناس بأنّ الحقيقة و الهدف يكمنان فى المظاهرات الأضخم – الأغلبية . و هذا ما يعيدنا إلى النقطة التى صغناها فى الجدل ضد الإشتراكيين الثوريين : دون فهم علمي للواقع ، لا يمكن رؤية إمكانية الثورة . لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، دون مساعدة إطار نظري صحيح – حقيقة .)

بالملموس ، عامل حيوي يفتقر الإنتفاضات العربية هو فهم صحيح لبدائل للعالم كما هو و كيف أنّ بلدانا خاصة يمكن تغييرها إقتصادياً و سياسياً لتصبح مناطق إرتكاز لذلك المستقبل ، رؤية معتمدة على العلم يمكن أن تبدأ فى التحوّل إلى قوّة ماديّة فى سيرورة فيها أعداد نامية من الناس تعارض اللاحول التى يمثّلها الإسلاميون و الليبراليون و الكفاح من أجل هدف بلوغ السلطة السياسية الثورية . هذا هو الطريق الوحيد الذى يمكن الشعب من التخلّص من عوائقه الذهنية و تخطّى الإنقسامات فى صفوفه و التوحّد فى سبيل تحرير الإنسانية من كافة أشكال الإستغلال و الإضطهاد . و مهما كان ذلك صعباً فإنّ كلّ حلّ سواه وهم .

قوتان متنافستان " عفا عليهما الزمن " – و تعرّز الواحدة منهما الأخرى :

إلى درجة كبيرة يمتاز الوضع السياسي فى العالم العربي بصدام بين متنافسين يمثلان الوضع السائد ، كلّ يدعو إلى إيديولوجيا إستعبادية . و هذا جزء من ظاهرة عالمية . فى مقال " التقدّم بطريقة أخرى" المكتوب غداة هجمات 11 سبتمبر 2011 ، حلّل بوب أفاكيان :

" ما نراه فى نزاع هنا بين الجهاد من جهة و ماك العالم / ماك الحروب من جهة أخرى ، هي شرائح تاريخياً عفا عليها الزمن ضمن الإنسانية بين المستعمرين و المضطّهدين ضد الشريحة الحاكمة للنظام الإمبريالي عفا عليها الزمن تاريخياً . و هذان القطبان الرجعيان يعرّز كلّ منهما الآخر ، حتى بينما يعارض الواحد منهم الآخر . إن وقفت إلى جانب واحد من هذين القطبين الذين "عفا عليهما الزمن" ، تنتهى إلى تعزيز الإثنين .

و فى حين أنّ هذه الصيغة هامّة جداً و حيوية لفهم الكثير من الديناميكية التى تدفع الأشياء فى العالم فى هذه الفترة ، فى نفس الوقت يجب أن نكون واضحين حول من من هاتين القوتين اللتين " عفا

عليهما الزمن تاريخيًا " قد تسببت في أكبر الأضرار و تمثل تهديدا أكبر للإنسانية : إنها " الشريحة الحاكمة للنظام الإمبريالي التي عفا عليها الزمن تاريخيا " و بوجه خاص الإمبرياليون الأمريكيان " .

و اليوم تلك الرؤية الثاقبة الرائدة مهمّة حتى أكثر بمعنى فهم الوضع في العالم العربي (و أبعد منه) الآن حيث كلّ من الجهاديين الذين يخوضون حربا مع الغرب و الإسلاميين الذين يبحثون عن القبول السياسي الغربي يزدهرون على وجه التحديد بسبب ، من جهة ، التغيرات الإقتصادية و إضعاف و فقدان الثقة في هياكل السلطة القديمة و الإيديولوجيات الرسمية ، و من جهة أخرى ، كردّ فعل على القوّة الدموية المستعملة لترميم الدولة القائمة . و حظر الإخوان المسلمين في مصر لن يحلّ المسألة .

الأصولية الإسلامية ليست تواسلا لتدوين ساحق القدم . فقد تكوّنت في عشرينات القرن العشرين ، أيام كانت القوى العظمى الغربية تتقاسم فيما بينها الشرق الأوسط عقب تفكك الإمبراطورية العثمانية . و السلف يعنى الأجداد الأولين و السلفية تبحث عن العودة إلى ما يفترض أنّه نمط حياة الرسول و أصحابه. في زمن تغير كبير غدت هذه الرؤية أساسا لبرنامج و حركة سياسيين ، الإخوان المسلمون . و قد تشكّلت أوّلا في مصر ، سرعان ما صارت مرتبطة بأل سعود و لاحقا العربية السعودية ، نظام قبلي رعته أنجلترا و مع إكتشاف النفط في 1938 بات و ظلّ وثيق الصلة بالولايات المتحدة . و لم تكن المسألة مسألة كيفية العودة إلى المجتمع شبه البدوي البائد بل مسألة كيفية إرساء أنظمة و مجتمعات تستطيع أن تنسجم مع مصالح الغرب فيما تتنبئ إيديولوجيا يمكن أن تحافظ على النظام الإجتماعي الرجعي و توقّر للحكّام الجدد شرعية .

في بعض البلدان ، شرع هؤلاء الإسلاميين كممثلين للطبقات المستعّلة التقليدية و إن تغير هذا بفعل علاقاتهم مع الرأسمال الإمبريالي مثلما حدث ذلك في إيران . وفي بلدان أخرى – و مصر مثال بارز – إرتبط نجاح الإخوان المسلمين بنمو الرأسماليين الجدد خارج الأوساط الحاكمة التي كانت على صلة بالدولة القديمة . (8) . و من المهمّ تفحص كيف ظهروا و الظروف التي جعلتهم يتجهون إلى الفكر الإسلامي . و هنا سنشير إلى عاملين كبيرين دون محاولة التعمّق أكثر ممّا يوسع الفهم الراهن للكاتب و من ما تسمح به المعطيات المتوفّرة لديه . عموما ما نجم عن ذلك هو تطوّر رأسمالي غير تام ، مشوّه و متفكّك و التأثير المستمرّ لأنماط الإنتاج الإقطاعية و ما قبل الرأسمالية الحالية و التاريخية .

في الصعيد ، على طول أعلى النيل ، لا يزال الهرم الإجتماعي تهيمن عليه العائلات الأرسقراطية التقليدية التي تدعى الإنحدار من الرسول و سليلين آخرين من الغزاة العرب ، مع الفلاحين في أسفل الهرم . و في دلتا النيل ، ناورت عائلات الملاكين العقاريين الأقباط المسيحيين و المسلمين للحفاظ على ملكية أراضي شاسعة بالرغم من الإصلاح الزراعي الواسع الذي قام به عبد الناصر و الجهود العامة لكسر سلطة الإقطاعيين المرتبطين ببريطانيا . و " الإصلاح الزراعي المضاد " في ظلّ مبارك و ظهور الإنتاج الرأسمالي – الشديد من أجل السوق العالمية . و إلى جانب سياسة متعمّدة لسحق ممتلكات الزراعة المعيشية العائلية ، تميّز الوضع بعودة العائلات الإقطاعية السابقة التي لم تكن سلطتها أبدا مجرد سلطة إقتصادية ، و اليوم تحمل الفلاحة الرأسمالية هذه الآثار . و مثلما سنناقش لاحقا ، لا يعيش فقط حوالي نصف السكّان – في الغالب بالكاد يعيشون – في المناطق الريفية بل إنّ الريف قد زحف إلى المدينة في شكل موجات كبيرة من النازحين الذين حلّوا بالمدن و ظلّوا إقتصاديا و إجتماعيا و ثقافيا مهمّشين عن الحياة العصرية .

و علاوة على ذلك ، فى مصر كما فى بلدان أخرى ، النموّ الضخم لعدد طلبة الجامعات و المحترفين الذين تدرّبوا فى الجامعات قد تأثّر بكلّ من الهيكله الطبقيه التقليديه للبلاد و كونه لا يتوقّر تشغيل مناسب لهم فى بلادهم . فعدد لا بأس به ينحدر من عائلات الملاكين العقاريين الحاليين أو السابقين و أعضاء آخرين من الفئات الحاكمة التقليديه . و قد عمل عديد ملايين المصريين من تقنيين و مهندسين و غيرهم من الأخصائيين و كذلك العمّال ذوى المؤهلات و أناس من الطبقات الدنيا فى مكان آخر فى المنطقه . و بالفعل ، عادة ما إختار الطلبة مهنتهم بفكره الحصول على الثروة بالخارج . و خلال العقود العديده الأخيرة ، زهاء ثلاثة ملايين مصري من الطبقات الدنيا و الوسطى إنتقل إلى العمل فى بلدان الخليج أين راكم العديده منهم رأس مال إلى جانب تحمّس للإسلام الوهابي (السلفية) و خاصة للعادات المتخلّفة و أنماط التعبير الدينية غير المعروفة سابقا فى مصر ، مثل النقاب .

و القنوات التلفزيونية الفضائية التى يملكونها و التى تفسح المجال للدعوة إلى السلفية تتجاوز كثيرا الأترنت و الشبكات الإجتماعية بمعنى مدى تأثيرها على الكثير من السكّان . و قد أهدقت قطر أكياسا من المال على جهاز الإخوان المسلمين و قام السعوديون بالشىء ذاته تجاه السلفيين . و فضلا عن التدريب و التمويل فإنّ النموذج الذى توقّره الأنظمة الملكية فى الخليج فى منتهى القوة بإعتبارها بلدانا غنية بكلّ الرفاه المعاصر و آخر السلع الإستهلاكية و تحكمها هياكل و إيديولوجيا قراوسطية .

و مثلما سنناقش لاحقا ، عامل هام آخر هو التأثير الإيديولوجي لنهاية الموجه الأولى من الثورة الإشتراكية ، لا سيما خسارة الصين الثورية و إعادة تركيز الرأسمالية فيها و إنهيار تقريبا كافة الحركات الثورية و الوطنية التى كانت تقريبا تحقّق بنظرها إلى الصين ، فى البلدان العربية (كما هو الحال فى صفوف الفلسطينيين) . و ينبغى أن يكون واضحا أنّ هذا يعنى غياب عرض لبدل ثوري للإمبريالية و إيديولوجيتها العالمية و ليس مجرد أو أساسا الضعف التنظيمي ل" يسار " . و تُغفل حجّة أنّ الإسلاميين الجيّد تنظيم إستغلّوا ضعف " اليسار " التقليدي مسأله لماذا خسرت الأحزاب المأثرة سابقا فعاليتها .

(10)

قد تسلّط هذه العوامل الضوء على لماذا هيمن الإخوان المسلمون على جمعيات مهنية كبرى (مثل المهندسين و الأطباء و أطباء الأسنان) و جامعة القاهرة ، رغم أنّ بعض أكثر الذين يخافون حكمهم يتركّزون أيضا فى ذات المهن . لكن القاعدة الإسلامية ضمن هذه الفئات يجب أن يُنظر إليها فى علاقة بالطرف الآخر من " السلم الإجتماعي " أيضا – عديد ملايين المصريين الذين يعيشون بطرق تقليديه فى الريف و الملايين الذين دفعوا خارج الأرض وإلى المدن حيث يحرمون من أية مكانة لائقة فى ما يسمّى بالمجتمع المعاصر . و خلال تشديد الإجراءات عقب الإنقلاب ، أغلق الجيش السكك الحديدية الرابطة بين الشمال و الجنوب و الحاملة لآلاف القرويين لمساندة إعتصام الإخوان المسلمين فى القاهرة . و قد جاء فى تقارير أن مظاهرات و صدامات حصلت فى أماكن بجنوب القاهرة مثل الفيوم و مصر الوسطى و العليا و هي أماكن عادة غير معروفة بنشاطها السياسي .

و قد أشار عديد الجامعيين إلى أنّ سياسات الإخوان المسلمين الإجتماعية و الإقتصادية منسجمة تماما مع النموذج الذى فرضه صندوق النقد الدولي و البنك العالمي . بينما تفقد بحدّة الغرب أو تأمل قبوله ، ليس لهذه القوى برنامج لتجاوز تبعيّة البلدان للسوق العالمية و للرأسمال الإمبريالي .

لكن البعض من هؤلاء الجامعيين شأنهم فى ذلك شأن عديد الناس الآخرين سقطوا فى خطأ إستنتاج أنّه لا وجود لنزاع حقيقي بين الإمبريالية و هؤلاء أو أولئك من الإسلاميين . الحركة الإسلامية حركة سياسية

و إيديولوجية تتحدّى ليس فحسب البنية الفوقية السياسية و الكثير من الإيديولوجية التي فرضها الغرب على هذه البلدان لكن أيضا الصلوحية العالمية للقيم التي يدعو لها الغرب – و إن كان الأمر لا يتعلّق عموما بالرأسمالية ، فإنّه يخصّ على الأقلّ النظام الإمبريالي العالمي الحالي . و تقترح أخرى ، تقترح نظرة عالمية أخرى . و هذا مرتبط بمعارضتها ، إن لم تكن للرأسمالية عموما فعلى الأقلّ لبعض مظاهر النظام الإمبريالي العالمي الراهن حتى بينما تبحث في الأساس عن موقع صلب النظام الإمبريالي ، أي الهيمنة على العالم وتنظيم إقتصادها من قبل – و لفائدة – الطبقات الرأسمالية الإحتكارية الحاكمة للبلدان الإمبريالية .

لم تفضّل الولايات المتحدة وصول الإخوان المسلمين في مصر أو النهضة في تونس إلى السلطة إلا أنّها نظرا لفقدان هياكل السلطة القديمة الشرعية و تفكّكها ، فإنّ القبول بدخول الإسلاميين إلى هيكل الدولة كان ينظر له كأفضل خيار متوقّف لواشنطن . لقد كان الإمبرياليون و مستشاريهم قادرين تماما على تصوّر الكارثة التي كان يمكن أن تحدث لو أنّ الجيش دُعي إلى إرتكاب مجزرة لإنقاذ مبارك في 2011 عوض خلع مرسى في 2013 . إلى حدود إنقلاب 2013 ، واصلت الولايات المتحدة تمويل حكومة الإخوان المسلمين المصريين إلى نفس درجة ما قامت به مع مبارك ، بينما ظلّت معظم مساعدتها توجّه إلى الجيش المصري . و بصفة مشابهة ، حاليًا ، قدّرت الولايات المتحدة أنّ حكومة النهضة في تونس مقبولة .

و مع ذلك ، اللقاء المؤقت بين الإخوان المسلمين والنهضة إلخ و المصالح الغربية ليس سوى جانب من المسألة . فللحركة الإسلامية منطقتها الخاص . و في حين يقول الإخوان المسلمون و النهضة إنّهم تطوّروا و إبتعدوا عن جذورهم الأصولية السلفية ، عندما يتخذ الدين كآخر مصدر للأخلاق الصحيحة و الشرعية السياسية ، عندئذ تكون الحدود بين التتويجات الإسلامية أكثر نفاذا . حتى في تركيا المفترضة نموذجا للإسلام السياسي " المعتدل " قد تُلقت تحفيزا و لم يتوقّف ظهور أشكال أكثر " تطرّفا " داخل و خارج حكومة حزب العدالة و التنمية . و " النجاح " الإقتصادي لحزب العدالة و التنمية – المترسّس لعملية مزيد إدماج تركيا في النظام الرأسمالي العالمي – جعل أسلمة المجتمع التركي بالقوّة أكثر ضرورة لمشروع أردوغان من جهة ، و دعم نزاعا أحدّ بين القوى الإسلامية والعلمانية من جهة أخرى . قد أثبتت ما جرت العادة على تسميته بـ " الحركة الإسلامية المعتدلة " لأردوغان أنّها غير قابلة للإستقرار بفعل تناقضاتها الداخلية .

و بوجه عام تبحث الحركة الإسلامية عن السلطة السياسية لتكريس نظرة و إيديولوجية شاملة بينما تخاطب المظاهر الأكثر تخلفًا لتقاليد و علاقات إجتماعية يقطّعها التطوّر الرأسمالي الذي تهيمن عليه الإمبريالية . هناك ديناميكية إيديولوجية حقيقية تعمل متماسكة في هذه المنظّمات و ضمن الحركة الإسلامية ككلّ . فقد زاد تأثير الأشكال الأصولية و الجهادية من الفكر الإسلامي في ظلّ الحكومات الإسلامية " المعتدلة " في مصر و تونس .

و أهمّ إنقسام في صفوف الإسلاميين ليس مدى علاقة برنامجهم الديني بـ " المعتدلين " مقابل " الجهاديين " . و إنّما هو العلاقة التي ينوون أن تربطهم بالولايات المتحدة و الغرب . فمثلا ، بينما من الأكيد أنّها ليست من " المعتدلين " من السلفية ، دولة السعودية هي التي وفرت ملجأ للعلماني نسبيا بن علي و ساندت مبارك و الإنقلاب ضد الإخوان المسلمين . و هي بلد نظام ملكي قائم على القبليّة و ليس تيوقراطيًا و تخشى العائلة الملكية أن تشهّر بها السلطة الدينية السعودية على أنّه مرتدّ نظرا لعلاقاته الوثيقة بالولايات

المتحدة . و نضرب مثالا آخر هو أنّ أيمن الظواهري ، وريث بن لادن على رأس القاعدة إنحدر من ذات الحركة الإخوانية المصرية التي قالت إنّها تنشُد علاقات طيبة مع الولايات المتحدة . التياران متداخلان و يتفاعلان - و تاريخيًا ضمّ الإخوان المسلمون و ضمّت النهضة التياران صلبهما .

و أبعد من ذلك ، هناك تناقض كامن بين إرادة الولايات المتحدة للمناداة بالشرعية الإسلامية لإرساء هيمنتها على المنطقة و دور إسرائيل كأكبر متنقذ يمكن التعويل عليه من أجل هذه الهيمنة . و مجددًا ، لنأخذ مثال تركيا ، ليس من اليسير جدًا على أية حكومة إسلامية أن تكون لها علاقات جيدة مع إسرائيل و تظلّ تحتفظ بشرعيتها . و قد بات هذا بديهياً في حادث باخرة مرمارا لما سمحت الحكومة التركية حينها ، وهي معتبرة أفضل صديق لإسرائيل في الشرق الأوسط ، أولاً لمجموعة بواخر بمحاولة كسر الحصار الإسرائيلي و إيصال معونة لغزّة ، و ثمّ لما هاجمت إسرائيل الباخرة القائدة للمجموعة و قتلت تسعة أشخاص ، زارت الحكومة التركية في غضب عاجز و لم تفعل شيئاً .

ينشد الإخوان المسلمون تخطّي هذا التناقض . و قد وعدوا بحماية إسرائيل و كذلك عزّزت حماس فرع الإخوان المسلمين المصري . و مهما كانت نوايا الإخوان المسلمين ، فإنّه في ظلّ حكومتهم نمت تسليح الإسلاميين القبليين في صحراء سيناء ما مثّل تحذيراً كبيراً للولايات المتحدة و معاونها الأصغر الصهيوني . يبدو أنّ حماية إسرائيل كانت عاملاً هاماً في كلّ من قبول الولايات المتحدة بحكومة الإخوان المسلمين طالما أنّ الجيش كان ظاهرياً غير قادر على أن يفرض شكلاً مفتوحاً من النظام الإجتماعي في مصر و ظلّت الولايات المتحدة متحمّسة لإغراق الإخوان المسلمين و هم يواصلون معانقة غير منقطعة للقوات المسلحة المصرية .

ميكانيكية الماركسية المزيّفة مقابل المادية الجدلية :

في صفوف أناس كثر يسمّون أنفسهم ماركسيين ، وُجد عدم فهم جدّي للأصولية الإسلامية النابعة من محاولاتهم أن يجروا " تحليلاً طبقياً " ميكانيكياً لا أساس له . و هذه المقاربة المنهجية مرتبطة بوجهات النظر السياسية وتعزّزها وجهات النظر التي تنزع إلى التذيل إلى واحدة أو الأخرى من القوتين اللتين " عفا عليهما الزمن " ، الحركة الإسلامية و الإمبريالية الغربية و ممثليها السياسيين العرب ، الأحزاب السياسية الليبرالية الموالية للغرب . و القيام بمعادلة واحد لواحد بين الطبقة و الإيديولوجيا عملياً يذهب ضد الجدلية الماركسية و الفهم المادي . (11)

من ناحية ، هناك النظرة التي يمكن أن ترى فقط ما تدّعي أنّه تشكيلة طبقية للحركة الإسلامية . فالمنظر التروتسكي كريس هارمون أنجز تحليلاً واسع التأثير يدعى أن " الإسلام الرديكالي ... " طوباوية " نابعة من القطاع المفقر من الطبقة الوسطى الجديدة " (12). و روايته هذه لا تصف بدقة الدور الحقيقي للدين على أنّه ليس مجرد " أفيون للشعوب " بمعنى مصدر للعزاء وحسب بل أيضاً إيديولوجيا أي نظرة إلى العالم ، جملة منسجمة من الأفكار التي تعكس و تعزّز - و تجسد- على نطاق الكرة الأرضية علاقات إنسانية إضطهادية و إستغلالية .

و حتى فكرة أنّ الأصولية الإسلامية " تنبع " من الفقر تسطّح و تشوّه الهياكل الإجتماعية المعقّدة . فهي لا تشرح لماذا يتخذ الغضب العميق للجماهير الشعبية هذا الشكل بالذات ، حتى ضمن المجموعات الإجتماعية التي كانت سابقاً تنجذب إلى الشيوعية (كالمجموعات الشيعية المدينية في العراق مثلاً) ، أو لماذا أضحت الأصولية الدينية قوّة ضخمة على هذا النحو في هذه اللحظة من التطور العالمي ، و ليس

قبلا ، عندما كان هناك مطلقا فقر أكبر و تخلف أكبر حتى . لماذا ترعرعت الأصولية الدينية فى دول الخليج الغنية بالنفط – و ضمن طبقات إجتماعية متباينة جدًا ؟ لماذا أعضاء من ذات الشريحة (عليا أو دنيا) يساندون حركة إسلامية أو أخرى فى حين يرفض آخرون هذه الحركات و بشراسة ؟ لماذا يستضيف أمير قطر كلاً من القواعد العسكرية الأمريكية و يساند الإخوان المسلمين المصريين فيما الإمارات المتحدة العربية المتحدة التابعة للولايات المتحدة و النظام الملكي السعودي يكرهان الإخوان المسلمين ؟ لا يبدو أنّ هذه الظواهر " تنبع " مباشرة من المواقع الطبقيّة .

لم يتشكّل الجانبان أبداً بوضوح على أساس طبقي و ليس بإمكان المادية الميكانيكية متتكرّة فى " تحليل إقتصادي " أن توقّر لنا أية دلالة .

و من ناحية ثانية ، هناك تحليل منتشر جدًا للأصولية الإسلامية يستعمل منهاجا مشابها واحد لواحد ، " ماركسي " مزيف لبلوغ الإستنتاج المعاكس : يعزى ظهور الأصولية الإسلامية بالأساس إلى دعم الإمبريالية الأمريكية و حلفائها لأنّها " تخفى التناقضات الطبقيّة " و يمثل عائقا أمام تطوّر حركة تحرّر وطني . و من أهمّ نوى التأثير الأكبر المدافعين عن هذه النظرة الإقتصادي المصري و المفكر السياسي سمير أمين . (13)

يحلّل أفاكين العلاقة بين الدين و الإقتصاد بطريقة مغايرة جدًا . متمعنا فى الأصولية الدينية المسيحية و مستعملا المنهج ذاته و مطبقا إيّاه على الأصولية الإسلامية أيضا ، كتب : " بعض الناس المنحدرين من نوع من النظرة الإقتصادية و الديمقراطية – الإشتراكية الضيقة قد سقطوا فى التأكيد على أنّ كلّ هذا " الفكر الإجماعي المحافظ " أو الأصولية الدينية ليس سوى تلهية لإبعاد الناس عملياً عن الفعل على أساس مصالحهم الإقتصادية الخاصة . و هذا خطأ جدّي يعنى الإخفاق فى إدراك كيف أن هذه الأشياء من البنية الفوقية ، وعلى وجه الخصوص هذه الأصولية الدينية برمتها ، فى حين أنّه لها فى نهاية التحليل قاعدة فى التغييرات الإقتصادية و التغييرات الإجماعية فى المجتمع ، لها حياة خاصة بها نسبياً، لها إستقلالية نسبية كتعبير إيديولوجي ... يستعمل هؤلاء الديمقراطيين – الإشتراكيين و التقدّميين الديمقراطيين – البرجوازيين مقارنة تستهين بالإستقلالية النسبية للبنية الفوقية و كيفية ردّ فعلها بدورها على الأشياء فى القاعدة الإقتصادية و فى العلاقات الإجماعية ...

لا وجود لتناسب واحد لواحد فجّ مباشر بين ما يحدث للناس إقتصادياً و كيفية رؤيتهم لذلك مثلما ينعكس عبر كافة العلاقات الإجماعية المختلفة – كما ينزع إلى ذلك ، إن أردتم ، حينما يدخل المجال العام للبنية الفوقية للأفكار و الثقافة و ما إلى ذلك . هذه الأفكار و هذه الثقافة بما فيها الأصولية المسيحية الرجعية ، تجد تحديدها فى نهاية التحليل فى القاعدة الإقتصادية الأساسية لكن هذا تحديدها فى نهاية التحليل . و علينا أن ندرك جدلية ذلك و لن تسعفنا فى ذلك المادية الميكانيكية الفجّة " (14).

ليست الأصولية الدينية خارجة عن نطاق المجتمعات التى تزدهر فيها و لا هي فى الأساس خدعة يروج لها الرأسماليون صلب الجماهير الجاهلة . يعود ظهورها بقدر كبير إلى المال السعودي و عمليات تغطية إسرائيلية و دعم الولايات المتحدة و قوى إمبريالية أخرى تهدف إلى مواجهة كلّ من التأثير السوفياتي و الحركات الثورية الحقيقية – و هذا يحتاج أن نشير إليه و نفضحه بالتفصيل بإستمرار . (15) لكن هذا لا يفسّر القبول العالمي للفكر الإسلامي . فهذا القبول فى جزء كبير منه مردّه لظروف موضوعية خلقها سير الهيمنة الإمبريالية الذى أفرز تغييرات عميقة و متواصلة - ليس كمؤامرة (رغم أنّ الإمبرياليين يتآمرون دائماً) بل نتيجة لسير النظام و تأثيرات جرائمه فى هذا الوضع .

و مثلما شرح أفاكيان : " من ضمن المظاهر الأبرز للوضع اليوم ، هناك القفزات التي تحدث في العولمة والمرتبطة بتسريع في سيرورة المراكمة الرأسمالية في عالم يهيمن عليه النظام الرأسمالي - الإمبريالي . و قد أدى هذا إلى تغييرات ذات دلالة و عادة مأساوية في حياة أعداد هائلة من الناس ما قوّض عادة العلاقات و العادات التقليدية ... [و] ساهم في النمو الحالي للأصولية الدينية ...

عبر ما يسمى بالعالم الثالث ، يدفع الناس بالملايين كل سنة بعيدا عن الأراضي الزراعية أين عاشوا و حاولوا أن يدبروا أمر معيشتهم في ظل الظروف الإضطهادية للغاية لكنهم الآن لم يعودوا قادرين حتى على ذلك : يُرمى بهم في المناطق المدنية ، في غالب الأحيان و جولة بعد جولة ، في مدن الصفيح الممتدة و في الأحياء القصديرية الواقعة حول نواة المدن . لأول مرة في التاريخ ، الحال الآن هو أنّ نصف سكان العالم يعيشون في المناطق المدنية بما في ذلك مدن الصفيح الكثيرة و الدائمة النمو .

و قد إجتثوا من ظروفهم التقليدية - و الأشكال التقليدية التي تستغلهم و تضطهدهم - يقع القذف بهم إلى حياة غير آمنة و غير مستقرة ، غير قادرين على الإندماج بأي نوع من " الطرق الملائمة " ، في المصنع الإقتصادي و الإجتماعي لسير المجتمع . في عديد بلدان ما يسمى بالعالم الثالث هذه ، غالبية الناس في المناطق المدنية يُستغلون في الإقتصاد غير الرسمي - مثلا ، كباعة متجولين أو تجار على نطاق ضيق من أنواع شتى ، أو في النشاط السري و غير القانوني . إلى درجة ذات دلالة بسبب هذا ، يتحوّل عديد الناس إلى الأصولية الدينية ليحاولوا أن يجدوا ما يعتمدون عليه وسط كل هذا التفكك و الوضع المتزعزع .

و عامل إضافي في كل هذا هو أنه في العالم الثالث ، هذه التغييرات و التفككات الكبرى و السريعة تحدث في إطار هيمنة الإمبرياليين الأجانب و إستغلالهم - و هذا في إرتباط بالطبقات الحاكمة "المحلية" التابعة إقتصاديا و سياسيا للإمبريالية ، و يُنظر إليها كعميلة فاسدة في خدمة قوى غربية و كمشجعة على " ثقافة غربية منحطة " . و هذا ، على المدى المنظور قد يعزّز يد قوى الأصولية الدينية و قادتها الذين يأترون معارضة ط الفساد " و " الإنحطاط الغربي " للطبقات الحاكمة المحلية و الإمبرياليين الذين يدينون لهم بالشكر ، بمعنى العودة و التعزيز بإنتقام للعلاقات و العادات و الأفكار و القيم التقليدية التي هي ذاتها متجدرة في الماضي و تجسد أشكالاً قصوى من الإستغلال و الإضطهاد ... لكن ظهور الأصولية يُعزى أيضا إلى تغييرات سياسية كبرى و سياسة و أعمال واعية من طرف الإمبرياليين في المجال السياسي ما كان له أعمق الأثر على الوضع في الكثير من بلدان ما يسمى بالعالم الثالث و منها بلدان الشرق الأوسط .

و كبعد من الأبعاد المفاتيح لهذا ، في غاية الأهمية عدم التغاضي عن أو الإستهانة بتأثير التطورات في الصين منذ وفاة ماو تسي تونغ و التغير الكلي في ذلك البلد ، من بلد كان يتقدم على طريق الإشتراكية إلى بلد حيث بالفعل وقعت إعادة تركيز الرأسمالية و وقع تعويض توجه تشجيع الثورة و دعمها في الصين و عبر العالم ببلد يبحث عن تركيز موقع أقوى للصين في إطار سياسات قوى العالم التي تهيمن عليه الإمبريالية . و كان لهذا أثر عميق - سلبي - في تقويض ، على المدى القصير ، ضمن عدد كبير من الناس المضطهدين في العالم ، معنى أنّ الثورة الإشتراكية كانت توفّر مخرجا من بؤسها ، و في توفير المزيد من الأرضية للذين ، و منهم خاصة الأصوليون الدينيون ، يبحثون عن توحيد الناس وراء شيء بطرق معينة يعارض القوة المضطهدة المهيمنة على العالم و لكنهم يمثل هم ذاتهم نظرة للعالم و برنامج رجعيين ...

و هؤلاء الشباب أنفسهم و غيرهم الذين يندفعون عندئذ نحو الأصوليات الإسلامية و الدينية الأخرى ، كانوا عوض ذلك سيندفعون نحو القطب المختلف جذرياً أي القطب الثوري للشيوعية . و قد تعزّزت هذه الظاهرة أكثر بإنهيار الإتحاد السوفياتي و " الكتلة الإشتراكية " التي كان يتزعمها ...

و أدّى كلّ هذا - و في علاقة به ، هجوم إيديولوجي بلا هوادة من قبل الإمبرياليين و كتلة أتباعهم من المثقفين - إلى مفهوم إنتشر و أذيع على نطاق واسع ، عن هزيمة الشيوعية و موتها وقتذاك ، مزعزعا الثقة في الشيوعية في صفوف القطاعات العريضة من الناس بما فيهم الذين يبحثون بلا توقف عن طريق لمواجهة الهيمنة و الإضطهاد و الإنحطاط الإمبرياليين . لكن ليست الشيوعية وحدها هي التي عمل الإمبرياليون وسعهم لإلحاق الهزيمة بها و تلوّث سمعتها في التراب . فقد إستهدفوا أيضا القوى و الحكومات العلمانية الأخرى التي إلى درجة أو أخرى عارضت أو مثّلت موضوعياً عوائقا أمام مصالح الإمبرياليين و أهدافهم ، لا سيما في أجزاء من العالم كانوا يعتبرونها ذات أهمية إستراتيجية " . (16)

إنّ نظرة إقتصادية سطحية للعلاقة بين السياسة و الإقتصاد لا تستطيع أن تفسّر كيف يمكن أن توجد أنظمة إقتصادية منسجمة مع السوق العالمية غير أنّها إشكالية سياسياً بالنسبة للولايات المتحدة و / أو إمبرياليون آخرون مثل نظام الأسد في سوريا و جمهورية إيران الإسلامية (و بالمناسبة ، مثل هذه الرؤى لا يمكن أن تفهم ظواهرها من مثل الحروب الإمبريالية التي لا يقودها دائماً الربح المباشر) . مثل هذه الإختزالية تستهين بتعقّد العلاقة بين الإمبريالية الغربية و الأصولية الإسلامية و تنتهي إلى التحالف مع قوّة من القوتين اللتين " عفا عليهما الزمن " .

إنّ الوقوف إلى جانب و تعزيز قوّة من القوتين اللتين " عفا عليهما الزمن " هو ما تشترك فيه هذه الرؤى الخاطئة المعروضة . و هذا جزء من سبب كون بعض الناس الذين يعتبرون أنفسهم تقدّميون أو ثوريون قد يتخذون مثل هذه المواقف السياسية الرجعية . و هذا التفكير قد برّر الموقف الذي إتخذه غالبية اليسار التاريخي و القوى التي تعدّ نفسها علمانية في مصر و تونس و أماكن أخرى ، والذي توصّل إلى رؤية الإسلاميين كعدوّه الرئيسي و صار من أتباع الأحزاب الليبرالية (و إلاً بالنسبة إلى سوريا ، أتباع لحزب البعث الحاكم الذي هو أكثر علمانية و ليبرالية إقتصادياً وحتى تسامحا من بعض " اليسار " مقارنة بغالبية الأنظمة في الشرق الأوسط - مجدداً ، العلاقة بين السياسة و الإقتصاد ليست بهذه السهولة . هنا بإمكاننا كذلك أن نشاهد إفلاس الأحزاب " اليسارية " ذات الرؤية في شكلها الأكثر راديكالية محدّدة بنظام يشبه نظام الأسد) .

حلقة مفرغة من التعزيز المتبادل :

يعدّ الأمل الذي وقعت تغذيته على نطاق واسع ، أمل أنّ الإنقلاب في مصر سيعرقل الإسلام السياسي في المنطقة تفكير أمل . و بالضبط لأنّ الولايات المتحدة و الإمبرياليين الآخرين هم الذين يهيمنون على العالم و يضطهدونه ، فإنّه إلى درجة عدم تمكّن الناس من رؤية أي بديل عدا التخندق سواء مع القوى الإسلامية أو القوى الموالية للغرب ، قد يزوّد الوضع اليوم في مصر في النهاية الإسلاميين في كلّ مكان بالقوّة .

يحبّ الإسلاميون أن يشاروا إلى النفاق الصارخ و إضطهادية القيم و الأخلاق التي يشجّع عليها الإمبرياليون الغربيون . و بينما كانت الولايات المتحدة تدعو إلى حقوق الإنسان ، كانت تزوّد بأدوات

التعذيب و كتيبات التعليمات و قائمات الأسئلة التي يجب طرحها و كانت حتى تجعل من مبارك و بشار الأسد ضحايا و تدعم كل جريمة تفتقرها إسرائيل . لقد حوّلو الأرض إلى جحيم لغالبية السكّان و هم يهدّدون تواصل الحياة على الكوكب . إنهم يهدّون بإنقاذ النساء العربيات من الرجال العرب و فى نفس الوقت يشجّعون على الحطّ من مكانة النساء فى بلدانهم الخاصّة بتقليصهن إلى أدوات للإشباع الجنسي للرجال (17). و هؤلاء الإمبرياليين و القادة السياسيين الليبراليين العرب الذين يمثّلون الإمبرياليين محلياً ليس بوسعهم أن يقدّموا حلاً للإحباط و الآلام التي تميّز الحياة اليومية لغالبية الناس و لا أي بديل للنظرة الدينية التي تعبّر عن اليأس و الخضوع .

ستكون للإسلاميين ميزة طالما أنّهم يصوِّرون النزاع على أنّه نزاع بين الجماهير العريضة من المقهورين من جهة و مداحي الهيمنة الغربية نوى الإمتيازات من جهة أخرى . و محاولة تصوير العلمانيين على أنّهم أقلية لا تهتم سوى بامتيازاتها موضع الخطر يساعد عليها الليبراليون الذين يخشون الطبقات الدنيا و بالكاد يهتمون بمعالجة حاجياتها الأساسية .

و حتى و إن كان ممكناً لمصر و تونس مثلاً أن تصبحا ما يعد به الليبراليون ، خاليتين من الفساد و التعذيب لكن مرتبطين وثيق الارتباط بالرأسمال الأجنبي و السوق العالمية مثلما كانوا دائماً ، مع كلّ التقدير و التخلف و اللامساواة لجماهير الشعب الحتميين الناجمين عن ذلك – كيف يمكن لذلك أن يلبي مطلب " خبز ، حرّية عدالة إجتماعية " ؟

و كيف تظهر الديمقراطية البرجوازية فى العالم الحقيقي ؟ أنظروا إلى جنوب أفريقيا التي تملك أحد أكثر الدساتير الديمقراطية البرجوازية تقدماً فى العالم الضامن ليس للمساواة السياسية فقط و إنّما أيضاً لحق كافة المواطنين فى السكن و الرعاية الصحيّة و المرافق الصحيّة و الأكل و الماء و التعليم . و مع ذلك ، نمت فى هذا البلد اللامساواة منذ نهاية حكم الأبرتايديد قبل عقدين ، حتى مع أنّ حجم الإقتصاد قد تضاعف ثلاث مرّات ، فى هذا البلد لا تزال الأغلبية من السود تعيش فى بؤس و لا يزال العمّال المضربون يقتلون بالرصاص . أو الهند ، " أكبر ديمقراطية فى العالم " أين إنتشرت مراكز المكالمات الهاتفية العالمية – الطبقيّة و المعامل وسط الفضلات و قاذورات المجاري التي على الجماهير أن تعيش فيها ، أين توفّر صناعة التقنية العالية ثروة للبعض و تقريباً الكلّ ليس لديهم كهرباء معول عليه ، أين تستخدم التقنية الطبيّة للتعرفّ على جنس الجنين و تحطيمه إذا كان أنثى ، و الهند بلد يميّز بمنتهى الفقر و منتهى الفساد و نظام كاست و إضطهاد ديني و إثني .

أو أنظروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها ، و هي بالمناسبة أغنى ديمقراطية برجوازية إطلاقاً ، أين تحكم طبقة منتفخة جراء الإفتراس و الإستغلال العالميين و أين تنتشر فى المجتمع الرائحة العفنة لبقايا النظام العبودي حتى لا نذكر سحق الحياة و الطموحات بفعل السير العادي للسوق .

و الذين يدّعون أن ما يُحتاج إليه هو مزيد التطوّر الرأسمالي يخفقون فى التعرّف على أو الإقرار بأنّ التطوّر الرأسمالي الذي لا يمكن إلّا أن يعني ، فى عالم اليوم ، تطوّر رأسماليّاً مرتبطاً بالرأسمال الإمبريالي ، إقتصاد قطاعاته مرتبطة بالسوق العالمية و ليس إقتصاداً وطنياً مندمجاً هو ما أوصل هذه البلدان إلى ما هي عليه اليوم . لقد كانت نسبة النموّ الإقتصادي فى مصر و تونس طوال العقود الأخيرة أعلى من عديد البلدان الأخرى . يتّقل الفقر و التخلف المستمرّان تماماً على عدد من المجتمعات العربية و ينتجان إحساساً شاملاً بالإحباط و الإذلال . مجدّداً للعودة إلى تحليل أفكيان ، هذا جزء من الإطار الذي صارت فيه الحركة الإسلامية عاملاً هاماً جديداً فى عالم اليوم .

أما بالنسبة للإدعاءات الليبرالية في المجال السياسي بأنهم يمثلون " الحرية " فمن جديد يحبّ الإسلاميون أن يشاروا إلى كيف أنّ القوى الإمبريالية التي يمثلها هؤلاء الليبراليون تغزو البلاد تلو البلاد و على وجه العموم تتحكّم أيما تحكّم في العالم . عندما خسر الممثلون المحليون الذين إختارهم الإمبرياليون المناورة الإنتخابية ، فجأة صرّحوا بأنّ حكم الأغلبية و الحقوق الدستورية إلخ لم تعد مقدّسة بالنسبة لهم – على غرار ما حدث في مصر . و بالضبط مثل الإسلاميين ، في رأيهم الإنتخابات و البرلمان وسائل لغايات و لا يمكن أن يكون الأمر عكس ذلك. و بينما من الضروري خوض نضال إيديولوجي و كذلك سياسي ضد الأصولية الدينية ، من الضروري بشكل متساوي عدم معارضة البرنامج الإقتصادي لليبراليين و حسب بل أيضا إيديولوجيتهم الديمقراطية البرجوازية التي ليست أقلّ تسميما لعقول الجماهير من الدين .

و للعودة إلى نقاش أفاكيان للعلاقة بين السياسة و الإقتصاد : " الآن بالنظر إلى مسألة الحرية و الديمقراطية و حقوق الشعب ، هناك نقطة جوهرية حين تكون علاقات الإنتاج على نحو يمنع جماهير الشعب من إمتلاك وسائل الإنتاج - و بالتالي هي مرتبهة ، في ذات حياتها و معاشها بمجموعة صغيرة ، أو طبقة تحتكر ملكية وسائل الإنتاج - هناك في جوهر الأمور بالذات وضع فيه قد منعت الجماهير من القدرة الأساسية أو إن شئتم " حق " ممارسة التحكّم الأساسي في حياتها ذاتها ، فما بالك بالمجتمع ... و هذه العلاقة الإقتصادية التي تمارس فيها طبقة سلطة الحياة و الموت على الآخرين - لا تحدّد نوعيا فقط بطرق عدّة قدرة أولئك " الآخرين " على المساهمة في و لعب أي دور حاسم في تحديد توجّه المجتمع... بل تنعكس هذه العلاقة الإقتصادية و لا يمكنها إلا أن تنعكس في البنية الفوقية خاصة في الطرق التي تتجسد فيها السلطة السياسية و تمارس لتعزّز العلاقات الإقتصادية الإستغلالية " (18).

وحتى بإنتخابات حقيقية ، الديمقراطية البرلمانية منسجمة تمام الإنسجام وهي عادة أفضل شكل من أشكال دكتاتورية الطبقة المستغلة مثلما يمكننا مشاهدة ذلك عند النظر في الواقع الإجتماعي و السياسي في بلدان عبر العالم أين تجرى مثل هذه الإنتخابات . تخفى المساواة الشكلية للمواطنين أمام القانون و تفرز كليا لامساواة هائلة تميّز كلّ بلد .

و مثلما صاغ ذلك أفاكيان :

" في عالم يميّز بإنقسامات طبقية ولامساواة إجتماعية عميقين ، الحديث عن " الديمقراطية " دون الحديث عن الطبيعة الطبقيّة لهذه الديمقراطية ، بلا معنى وأسوأ. طالما أنّ المجتمع منقسم إلى طبقات، لن توجد " ديمقراطية للجميع " : ستحكم طبقة أو أخرى وستدافع عن وتروّج لهذا النوع من الديمقراطية الذي يخدم مصالحها و أهدافها. المسألة هي : ما هي الطبقة التي ستحكم وإذا ما كان حكمها ونظام ديمقراطيتها، سيخدم تواصل أو في النهاية القضاء على الإنقسامات الطبقيّة و علاقات الإستغلال والإضطهاد و اللامساواة المتناسبة معه." (19)

و إضافة إلى ذلك ، في البلدان التي تهيمن عليها الإمبريالية ، لن تكون الديمقراطية البرلمانية شكلا فحسب لدكتاتورية الطبقات المستغلة لا وزن فيها لمصالح الشعب و أعمق مطامحه في القرارات الأساسية و الحال كذلك في الغرب ، بل ستكون أيضا فارغة بصورة مضاعفة لأنّ الحياة المحليّة تتحدّد في النهاية بمصالح و قرارات القوى الإمبريالية و أجهزة إخضاعها التوأم ألا وهي جيشها و السوق العالمية . و هذه العوامل ، إلى جانب فقر مدقع و تواصل العلاقات الإجتماعية و الإقتصادية ما قبل

الرأسمالية ، تجعل من الصعب تطبيق نوع من الديمقراطية البرلمانية الذى يستخدمه عامة الرأسماليين ليحكموا فى البلدان الإمبريالية .

غياب الحقوق السياسية و السنسرة و الصحافة المأجورة هي عموما مظاهر من الديمقراطية التى تمارس فى البلدان التى تضطهدها الإمبريالية . هذه أسباب تشرح لماذا تلجأ غالبا أكثر الحكومات فى بلدان يبقى شعبها فى يأس بفعل الطبقة الحاكمة التابعة للإمبريالية إلى القمع الخبيث و التعذيب إلى جانب الدين و الأسلمة المتصاعدة للمجتمع (التى شجّع عليها كلّ من مبارك و بن علي حتى لمّا كانا يحاولان التغطية على المنظّمات الإسلامية) .

فى 1958 ، الحبيب بورقيبة ، أوّل رئيس لتونس بعد الإستقلال الشكلي ، شرب خلال شهر رمضان كأس عصير و عرض ذلك فى التلفزة فى محاولة منه أن يحبط ما إعتبره خسارة إقتصادية للبلاد فقط أثناء شهر الصيام . و هذا لا يمكن تصوّره فى أي بلد من البلدان العربية اليوم ، أين يحتاج بشّار الأسد ، القائد الأكثر لانكية فى المنطقة ، كلّ المساعدة التى قد يحصل عليها من الدين . هكذا هو تفتّى اليأس و ما رافق صعود الدين فى عالم اليوم .

و عندما يتعلّق الأمر بالإمبرياليين (و السياسيين المحليين المدلّين الموالين للغرب) من جهة و الإسلاميين من جهة أخرى ، لا وجود لإختيار مقبول . و بالفعل مهما حصل ، دون ظهور الحركة الثورية بقيادة شيوعية يمكن أن تغيّر الساحة السياسية اليوم فى الشرق الأوسط ، فإنّ الناس فى المنطقة و أبعد منها سيثكون من الإملات الإمبريالية و نير الدين على حدّ السواء ؛ و التوتّرات و النزاعات التى تنشأ عن تفاعلها .

لماذا مصر على ما هي عليه اليوم :

ليست الإمبريالية مجرد كلمة فارغة أو جملة من السياسات . إنّها تعنى نظاما حيث الإحتكارات و المؤسسات المالية تتحكّم فى الإقتصاديات و الهياكل السياسية فى البلدان الأوطان مثل الولايات المتحدة و " الغرب " عامة و فى العالم بأسره أيضا . إقتصاديات - و حياة ناس - البلدان المهيمن عليها خاضعة لمراكمة رأس المال المرتكز فى البلدان الإمبريالية . و مثلما تمّ شرح ذلك فى " إنهيّار أمريكا " لريموند لوتا و فرانك شانون ، (20) " هذا لا يعنى أنّ الإمبريالية ببساطة تخضع البلدان المضطّدة أو أنّها تستخرج لا غير الثروة من خلال تجارة لامتساوية أو نهب سافر ، رغم أنّ هذا يحدث بالتأكيد . بإمكان رأس المال ، و على المدى الطويل عليه ، أن يطوّر إقتصاد هذه البلدان . لكن عليه أن يطوّرها على أساس إمبريالي - بوجه خاص ، على أساس ملائم للرأسمال الأجنبي - و فى تناقض مع كلّ من رفاه أوسع جماهير تلك البلدان و مع التطوّر المندمج نسبيا للتشكيلة الإجتماعية . و حتى حيث يقع إدخال العلاقات الرأسمالية على نطاق واسع فى تلك البلدان ، ليست هذه البلدان على طريق التطوّر الرأسمالي المستقلّ " . و من ضمن التشويهات الأخرى التى يحدثها هذا النوع من التطوّر الرأسمالي ، ينزع ملكية الكثير من الفلاحين و طبقات إجتماعية تقليدية أخرى لكّنه لا يستطيع أو يوظّفهم بشكل مربح و النتيجة هي " شريحة " سكان مدينيين ضخمة فى بطالة مقعّة أو بطالة مستمرّة وإهدار هائل (عدم إستعمال) للعمل فى الريف .

هذه هي علامات فاقعة لدي عديد البلدان العربية . وهو وضع مزمن فى تونس ، التى لوقت طويل صدرت جزءا من سگانها الريفيين و كمثل دقيق آخر لناخذ الأزمة الفجئية فى السنوات القليلة الأخيرة نظرا لإنتاح سوريا على السوق العالمية .

و مع إندماج مصر بصورة تامة أكثر فى الأسواق العالمية طوال العقود العديدة الأخيرة ، تضخمت بعض قطاعات الإقتصاد لكن الحياة صارت مؤلمة أكثر بالنسبة للغالبية . و فى المناطق الريفية حيث لا يزال يعيش نصف السگان ، " الإصلاح الزراعي المضاد " للفلاحة الذى إستهدف تشجيع الفلاحة الرأسمالية المعاصرة فى ريف متميز بملكيات صغيرة جدا ، حوّل عديد الفلاحين إلى عمال و عن قصد دفع بالكثيرين خارج نطاق الأرض تماما . و بالتالي ، العمل الرخيص متوقّر جدا لمصانع النسيج و مصانع اللباس و غيرها من المصانع الواقعة فى دلتا النيل ، حتى أنّ الصين الرأسمالية بزادها الخاص الواسع من العمال المفقرين و الفلاحين المهجرين ، وجدت من المفيد أن تركّز مصانع تصدير هناك .

و تطلّ الفلاحة و الصناعة على حدّ السواء معرفلتان لأنّ إندماج مصر فى النظام الإمبريالي العالمي يحدّد و يعيّن حدود تطورها . (21) و التطور الذى حصل كان عادة تأويليا أكثر أو مرتبطا بالخدمات و الإستهلاك أكثر من الإنتاج الأساسى .

مثلا ، غدت مصر أين ساعدت الظروف الفلاحية المناسبة على إرساء قاعدة لإحدى الحضارات الإنسانية الأولى (بعض الأرض السقوية بوسعها أن تنتج ثلاث محاصيل سنويا) ، بصفة متصاعدة مرتبهة للتوريد من الولايات المتحدة ، إلى جانب بلدان أخرى ، لحاجيات غذائية أساسية مثل الذرة و القمح ، رغم الثروة الفلاحية الممكنة للبلاد . (22) و الكثير من مصادرها الفلاحية ومحاصيلها موجهة للتصدير . وبدأ هذا فى السنوات الأولى من 1800 لما أضحي إنتاج القطن هوالموقع المحدد لمصر فى تقسيم العمل فى الإقتصاد العالمي – كلمة سرّ الإستغلال الرأسمالى و الإمبريالى .

و لنضرب مثلا آخر . تورّد مصر المنتجات البترولية المكرّرة حتى بالرغم من كونها منتج كبير للنفط و الغاز . و فى حين أوصلت أنابيب الغاز الطبيعى إلى إسرائيل (بسعر جدّ منخفض) ، كان عديد المصريين مضطرين إلى حمل قوارير غاز ثقيلة و غير آمنة و صعود الدرج بها لطبخ الطعام و ذلك لنقص فى أنابيب الغاز المحليّة و البنية التحتية . يتمّ توريد غاز البوتان و كذلك منتجات البترول المكرّرة كالديازال و البنزين . و ببساطة يعنى تحديد الحكومة للأسعار أنّ هذه الأشياء غير متوقّرة عادة عبر القنوات الرسمية و يضطرّ الناس إلى إضاعة وقت للتعامل فى السوق السوداء .

و قنال السويس الذى بناه العمل الإجبارى للفلاحين و إستعيد بالقوّة من بريطانيا التى إستولت عليه ، مصدر هام للمداخل و التشغيل لا سيما للعمال ذوى المؤهلات لكثها أيضا موجهة للتصدير ولا تساهم كثيرا فى تطوير البلاد .

و نتيجة كلّ هذا ، قطاع كبير من السگان فى المدن و الأرياف لم يعد يعيش حياة تقليدية لكن لم يقع إدماجه فى الإقتصاد الرسمى . و إستمرار هذا الوضع لأزيد من نصف قرن دليل على أن المشكل ليس التطور و إنّما أي نوع من التطور . (23)

القاهرة إحدى مدن العالم الأكثر تعقيدا ، غير أنّ غياب الشغل القار و الإعتماد على العلاقات الإقطاعية و القبلية و غيرها من العلاقات الشخصية و المنة لأجل البقاء على قيد الحياة ، وظروف الحياة مرتجلة و مضطربة بالنسبة لعدد سكانها و حتى حجمها غير القابل للثبات ، هي أوضاع مرتبطة وثيق الارتباط بكيفية عرقلة الإقتصاد و التطور الإجتماعي الشامل نظرا لتبعية البلاد للرأسمال المرتكز في البلدان الإمبريالية . و يعمل عدد ضخم من الناس في مكان الآلات (في البناء مثلا ، حيث ظهر العمّال أرخص من رقّاعة) أو كبوّابين و حرّاس و مساعدين و ما إلى ذلك . هذا إهدار إجرامي للإمكانيات البشرية .

و في نفس الوقت ، بفضل التلفزة و الأنترنت معايير أنماط العيش الأمريكية و الأوروبية معروفة جدًا لدى ملايين الشباب الذين لديهم القليل من التعمّق و إمكانيات محدودة للإلتحاق بالجامعات و لا أمل في القبول بهم في هذا النوع من المعاصرة . وهو وضع منتشر في الكثير من بلدان العالم العربي .

و مثال مذهل للطابع الخاوي لتطور البلاد ، منظور إليه من آفاق مصالح الشعب ، هو النظام الصحيّ المصري . تقريبا كلّ فرد يوجد نظريًا ضمن مسافة قصيرة من المصحات و المستشفيات التي توفرّ علاجًا مجانيًا . لكن الرشاوي المطلوبة للحصول على الرعاية الصحية بعيدة جدًا عن متناول الكثير من الناس . و بالرغم من الخدمات الطبيّة المعاصرة ، لمصر نسبة وفيات أطفال عالية وهو مؤشّر عن الوضع الحقيقي للصحة . و في ذات الوقت ، بينما يتخرّج الكثير من الأطباء من المعاهد الطبيّة المصرية و يتوجّه الكثير منهم إلى الخارج ، ليس فحسب بحثًا عن المال ، بل كذلك بسبب كونهم كأشخاص ليس بإمكانهم ما يقومون به لتغيير هذا الوضع . فكمايات ضخمة من الموارد الإجتماعية و الجهود الفردية التي تنصبّ في التعليم الجامعي تهدر عندما ينتهي الشخص إلى العمل كسائق في لندن أو يدير متجرًا غذائيًا في نيويورك .

التمردات في مصر و تونس و أماكن أخرى لا يمكن تفسيرها بالحرمان الإقتصادي وحده بما أنّ ذلك ليس بالأمر الجديد . فهناك شعور عام عبر هذه المجتمعات بأنّ حياة الناس و البلاد قد إنتهت إلى طريق مسدود . (24) . هذه هي الظروف التي تحدّد إطار كلّ من الأزمة السياسية التي أطاحت ببن علي و مبارك و بصعود الحركة الإسلامية .

هل هناك طريق وسطي بين الرأسمالية و الإشتراكية :

ثمة بعض الناس الذين يحاولون أن يناوؤا بأنفسهم عن الليبراليين والإسلاميين على حدّ سواء رغم أنّهم ينزعون إلى السقوط في المعسكر الليبرالي لأنّهم يأملون في أنّ " الفضاء الديمقراطي " يمكن أن يسمح بتغيير تدريجي . إنهم يتقدّمون بتنوّعات من فكرة السياسة " الإنتقالية " و الهيكلية الإقتصادية حيث الرأسمالية ستعمل بطريقة مختلفة . ينادون بتدخّل الدولة لتفرض على المستثمرين مطاوعة الأهداف الوطنية و الإجتماعية .

مثلا ، في مقال في ربيع 2013 المنشور على موقع المنتدى الإجتماعي العالمي ، يرسم سمير أمين سلسلة من الخطوات الملموسة التي يحاجج بأنّه في مقدورها أن تجنّب كلّ من " الرأسمالية الهرمة " لمبارك التي فيها يمكن أن تزدهر حفنة من الناس المرتبطين بالنظام و خاصة بمبارك و عائلته (وهو أمر يشبه كثيرا بن علي تونس و عائلة الأسد في سوريا) والرأسمالية " الليبرالية " (السوق الحرّة دون ضوابط) التي يتبنّاها كلّ من الليبراليين و الإخوان المسلمين . و نوّد أن نتفحص مقترحاته ليس فقط بسبب تأثير أمين بل كذلك بسبب أنّ نقاطه دقيقة في الوقت الذي كانت فيه البرامج الإقتصادية لما يسمّوا

باليساريين فى جبهة الإنقاذ الوطنى الليبرالية ، لا سيما الأبرز منهم ، المرشّح للرئاسة حمدىن الصباحى الذى ساندته أمين ، قد كانت ضبابية جدًا عمدا . و تجسّد أفكار أمين البرنامج الواضح أو الخفى لغالبية " اليسار " فى مصر وتونس .

1- وضع حدّ ل " الرأسمالية الهرمة " بأن يفرض على الذين سُمح لهم بشراء ملكية الدولة بأسعار المزاد العلنى أن يدفعوا القيمة الحقيقية لما تحصلوا عليه .

2- رفع الأجر الأدنى و تبنّى تسقيف الأجر .

3- إنشاء لجنة ثلاثية بين النقابات (بما فى ذلك النقابات غير المعترف بها قانونيًا حاليًا) و الأعراف و الدولة للتفاوض فى الحقوق والأرباح .

4- إلغاء منح الدولة للمؤسسات الإحتكارية .

5- الترفيع فى أداءات المؤسسات الكبرى و الأجنبية و التخفيض فى أداءات المؤسسات الصغرى .

6- تقديم منح لميزانية الرعاية الصحية لتغطية عجزها هي و الخدمات العامة الأخرى .

7- مركزة القروض لدى بنك مركزى .

8- و بالنسبة للفلاحين الصغار ، تحسين الطرق الفلاحية و قروض الدولة للإستثمار و توزيع التعاونيات و تجميد إيجار الأرض و قوانين جديدة تجعل من الأصعب طرد الفلاحين من أراضيهم . (25)

و تقف ضخامة مشاكل البلاد فى تعارض حاد مع تفاهة هذه الحلول المقترحة . ولنتفحص فقط ثلاثة من العيوب الأساسية فى هذه الحجّة .

أولًا ، إنّها تغالى فى الإختلاف بين " الرأسمالية الهرمة " و الرأسمالية " الليبرالية " . و بالفعل أوّل نقطة صاغها أمين مؤكّدا على أنّ يدفع الرأسماليون القيمة " العادلة " (التى ليس بوسعها إلا أن تكون قيمة السوق) للمقتنيات القديمة و الجديدة هو بالضبط ما يدعو إليه منظرو السوق الحرّة .

الرأسمالية ، أكانت هرمة أم غير ذلك ، يجب أن تبحث عن اعلى نسب الربح . مثلا ، الفلاحة التى يقرّ أمين أنّها المشكل الأعوص فى قائمته يتجنّبها تماما عديد اليساريين . و تكون الفائدة أزيد إن تركّز رأس المال فى مزارع كبرى تنتج مجموعة صغيرة من المحاصيل الموجهة للتصدير مثل القطن ، و توريد المواد الغذائية و ترك بقية الفلاحة فى ركود ، من تشجيع تطوّر و تنويع شاملين .

و علاوة على ذلك ، فإنّ ما ينجم عن هذا من عدد هائل من الناس المحرومين من أرض قابلة للفلاحة و يائسين من أعمال أخرى هي بالضبط بسبب وجود إستثمار دولة و إستثمار أجنبي فى إنتاج المصانع ، مرّة أخرى ، بالأساس بضائع قطنية للتصدير . ما هو الشىء الآخر الذى سيجلب الرأسمال الأجنبي إلى مصر ؟ طالما أنّ أي إقتصاد يقوم على المبدأ الرأسمالى لجنى الربح ، يجب أن يخضع لمقتضيات السوق العالمية .

ثانيا ، تحمل هذه المقاربة فرضية غير مباشرة تشدّد على أنّ الدولة محايدة و يمكن أن تُستعمل ضد الطبقة الرأسمالية الحاكمة فى حين أنّها عمليًا تمثّل تلك الطبقة . و كلّ من له إطلاع على هيكل السلطة

المصرة ، مثلا ، سيجد من العسير إنكار أنّ القوات المسلّحة و أجهزة الأمن هي لبّ الدولة . و هذا ليس لمجرّد كون للجيش الدور القيادي فى الإقتصاد . و ينطبق الشيء نفسه على تونس أين القوّات المسلّحة أقلّ بكثير عدديًا و لا تتمتع بذات الدور الإقتصادي الكبير . جهاز الدولة برّمه ، بما فيه القضائي البيروقراطي من قمّته إلى قاعدته ، يخدم تلك المصالح الطبقية . و قد بقيت هذه الأجهزة تقريبا دون مساس رغم الإستقالة المفروضة على مبارك و بن علي ، مواصلة تعزيز النظام الإقتصادي و الإجتماعي . و بالفعل دور الدولة كمعزّز لجملة العلاقات الإقتصادية و الإجتماعية السائدة ، و فى هذه الحال الرأسمالية و الإمبريالية ، هي مبدأ محوري فى الماركسية يتعيّن نصح منظرينا " الماركسيين " بتذكّره .

ثالثا ، تعتمد هذه المقاربة أيضا على فرضية أخرى أساسية غير مصرّح بها : أنّ ثورة حقيقية غير ممكنة فى مصر (أو أي بلد آخر ، واقعيًا) وأنّ المطلوب هو فترة طويلة من التطوّر الإقتصادي لتوفير الشروط اللازمة . و تجربة روسيا و الصين اللتان كانتا فى أوجه عدّة إقتصادية أقلّ تطوّرًا بكثير زمن ثورتيهما من مصر اليوم ، تفنّد هذه الفرضية . و قد ناقشنا التطوّر المفكّك فى البلدان المضطّهة من قبل الإمبريالية و كيف أنّ النموّ الإقتصادي فى ظلّ هذه الظروف يخلق مشاكلًا جديدة عوض تقديم حلول – هذا النموّ هو الذى أوصل مصر و تونس إلى حيث توجدان اليوم . سواء بسبب نظرية أمين للتطوّر أم بسبب فهمه الخاص للتجارب الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي و الصين ، فإنّ نقطة الإنطلاق المضمرة لهذا الخطّ من المحاججة هو أنّ الثورة و الإشتراكية ليستا خيارا واردا .

و هناك مشكل كبير آخر مع برنامج أمين ، مشكل لنكون منصفين نتقاسمه معه غالبية القوى التى تسمى نفسها يسارية أو إشتراكية عموما : لا إشارة إلى نصف المجتمع ، النساء . كلّ من الحياة اليومية و أهداف الإسلام السياسي جعلًا من مكانة المرأة ومعاملتها من أحدّ المواضيع الراهنة التى تواجه المصريين و التونسيين و الإنتفاضات ككلّ و مع ذلك غالبية اليسار التقليدي و العلماني فى هذه البلدان يحاول تجنّب هذه المسألة .

و على سبيل المثال ، فى تونس و مصر سمح المفترض أنّهم علمانيون للإسلاميين بإستعمال كلّ من الوسائل القانونية و العنف لمنع عرض شريط برسيبوليس وهو قصّة فتاة تبحث عن الإزدهار كشخص فى ظلّ جمهورية إيران الإسلامية . ومثال آخر شهير و معبر جدًا فى تونس هو عرض طالبة صورة لها عارية الصدر على الأنترنت مصرّحة " جسدي ملكي و ليس مصدر شرف لأحد " . حينها فى إرتباط بمجموعة " فيمن " الأوروبية ، نساء تعرضن صدورًا عارية كتبت عليها شعارات ضد الدين و البطرياركية ، حُكم عليها بأربعة أشهر سجن لكتابتها كلمة " فيمن " على جدار مقبرة . و مثلما وضع ذلك كاتب تونسي ، أمين السبوعي ، لقد حقّقت ما لم يستطع تحقيقه أحد منذ بن علي – توحيد جميع الطيف السياسي و المجتمع الرسمي ضدها . (26) و قبل ذلك ، عندما عرضت شابة مصرية صورة وهي عارية لأسباب مماثلة ، حركة شباب 6 أفريل وهي من أبرز تنظيمات " الشباب الثوري " فى الإطاحة بمبارك ، لم تدن تصرفها و حسب بل قالت إنّها لا يمكن أن تكون عضوا فى منظماتهم لأنّها كانت ملحدة . (27)

و كانت هذه لتكون مجرد حكايات إن لم تكن تكشف الموقف المضمّر لليسار و حتى عديد الناس من الطبقة الوسطى الذين يريدون نمط عيش علماني هم أنفسهم بينما يعترفون بسلطة الدين فى تحديد الحياة العامة و حياة الآخرين . و هذا ليس مجرد نفاق حتى أسوأ من البرّ ؛ إنّهُ مؤشّر على القبول بشرعية

قوانين البطريركية التي هي في موقع اللب من العلاقات الإجتماعية و التفكير الفاسدين اللذين يستعبدان العالم العربي و تعرّى النساء يتحدّى حقًا النظام الإجتماعي والإيديولوجي برمته بطريقة جدّ مباشرة و النظام العالمي برّمته بصورة أعمّ. (28)

و مثال قاسي بصفة خاصة هوالتالي : تشهد مصر وباء إغتصاب و إعتداءات جنسية على الملاً (مسموح بها على الملاً) . و الفرق المتنافسة من الإخوان المسلمين - الدعاة الملمين الملتحين و الجنرالات المتريّنين - قد برّرا كلاهما صراحة و وقّرا بما لا يدع مجالاً للشكّ الجوّ العام وربّما تنظيم إغتصاب المتظاهرات من النساء في ساحة التحرير . (29) هذا مظهر فظيع لما حلّه أفاكيان كتبعات للتناقض الجوهري للرأسمالية و عالم اليوم الإمبريالي . كيف أنّ التطوّر الرأسمالي من جهة يكسر العلاقات الإجتماعية القديمة و يدفع النساء إلى الحياة العامة ، في حين أنّه من جهة أخرى لا يأكّد القيم و الإمتيازات التقليدية نفسها فحسب بل يتعرّز بعنف - ليس فقط في البلدان العربية بل عالميًا .

لنكن واضحين ، هناك بعض الاختلافات بين مختلف أنواع المجتمعات . و يبحث الإسلاميون عن تقنين و تشديد القبضة على وضع موجود بعدّ و يزداد سوءا . لكن في أفضل الأحوال ،غالبية القوى"العلمانية" التي تنادي بحقوق النساء لا تتحدّاهم . بجرأة في هذا حتى و إن كانت المساواة القانونية للنساء جزء من برنامجها . وهذا مذهل بالخصوص نظرا للطريقة التي يستعمل بها الليبراليون في الغرب عادة الأشكال القروسطية من الإضطهاد في ما يسمى بالعالم الثالث للترويج لمصالح الإمبريالية الغربية و برامجها السياسية بينما تحجب الأشكال الأكثر عصرية لإضطهاد النساء .

هنا ثمة نقطتان . واحدة هي أنّ النساء مضطهدات في كلّ بلد من بلدان العالم " بينما قد يبدوان مختلفين جدا ، فرضت الأصولية الإسلامية المتعصبة الخمار من جهة و " سير من الجلد " معلن على نحو واسع و مروّج له على أنه " لباس داخلي جنسي" بالنسبة للنساء في المجتمع الرأسمالي "الحديث" ، من جهة أخرى ، كلاهما رمزان و تجسيدان قبيحان لمهانة النساء . " (30) و يحاجج الإسلاميون بأنّ جسد المرأة كقطعة شوكولاتة: أليس من الأفضل إبقاؤه مخفّفا ، نضرا و آمنا بعيدا عن العيون الطامعة ؟ و الجواب السائد في الغرب هو : تباع الشوكولاتة أكثر عندما تجعل لعاب الرجل يسيل - عرض أجساد النساء يزيد في قيمتها في السوق . أين - في أي مجتمع على الكرة الأرضية اليوم- يمكن للمرأة أن تكون إنسانا و ليس قطعة سكر ؟

و النقطة الثانية هي أنّه إلى درجة إمتلاك النساء أوفر إختيارات في البلدان الإمبريالية و وجود بعض الحقوق - أنّه من " الأيسر أن تكون امرأة " في لندن أو نيويورك من القاهرة أو دلهي - فإنّ هذا لا يعود إلى التفوّق المفترض للثقافة الغربية و إنّما إلى كون التطوّر الإمبريالي - مراكمة رأس المال في البلدان الإمبريالية و نوع التطوّر المفروض على البلدان التي تضطهدها - هو ما يجعل هذا ممكنا ، رغم أنّ هذه الحقوق نسبية وهي الآن متنازعة تنازعا عنيفا . (31)

و بالرغم من المشاركة الواسعة للنساء في النضالات المناهضة للنظام ، لا وجود لبلد في الإنتفاضات العربية أين صار تحرير المرأة صرخة توحيد كبرى كما يجب أن يكون . إنّ إضطهاد النساء متداخل بصفة حاسمة بالتحديات الجذرية لكافة نظام العلاقات الإجتماعية . يمكن لحركة تحرير النساء كجزء جوهري من هويّتها أن تواجه عمليًا القوتين اللتين " عفا عليهما الزمن " كلاهما ن بما في ذلك في مناطق و ضمن شرائح إجتماعية هي في الوقت الحاضر معاقل للأصولية الإسلامية ، و تفرز قوّة من

النساء و الرجال و تشرع فى تغيير المشهد السياسى . و يمكن لمقاربة يجسدها شعار " لنطلق غضب النساء كقوة جبارة من أجل الثورة " أن تساعد على دفع إختراق القبضة القوية للقوتين اللتين " عفا عليهما الزمن " فى السياسة و كذلك فى تفكير الكثير من الناس .

الجزء الثانى

كيف ستكون الثورة الحقيقية :

مثلما ناقشنا أعلاه ، أسباب الإنتفاضات العربية عميقة و متعددة و قد غدت حركات و تيارات تفكير متناقضة بحدّة ، و تناقضات معقّدة . لكن خلف كلّ هذا يوجد واقع أساسى هو واقع أنّ الناس فى هذه البلدان يجدون تنظيم المجتمع فى منتهى اللاعدل و أنّ بلدانهم غارقة فى التخلف و تخضع لإملاءات الزمر الرجعية محلياً و إلى القوى الأجنبية الإستعمارية الجديدة ، و أنّ ظروف الحياة القائمة لا يمكن القبول بها . مئات الآلاف و حتى الملايين أظهروا أنّهم ينوون النضال و التضحية لوضع نهاية لهذه الوضعية . غير أنّ هذا ينبوع الجارى من الرغبة فى التغيير الثورى سينحصر فى النهاية و قد ينتكس حتى إذا إرتبط بفهم حقيقى للماذا هذه المجتمعات على الحال التى هي عليه و أهمّ من ذلك ، ما الذى يمكن أن نفعله لتغييرها على نحو تحريرى حقاً .

بهذا المعنى ، فى حين أنّ نهوض النضال كان متأخراً عن موعد إستحقاقه منذ مدّة طويلة و عمل مرحّب به فى العالم ، فإنّ الوضع الأساسى للناس فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا و حاجتهم لمجتمع مغاير تماما بالكاد تكون فريدة من نوعها فى هذا الجزء من الكوكب . ففى كلّ مكان المسألة هي إذا كان ممكنا للناس المضطهدين عبر العالم بأسره أن ينهضوا ضد الظروف الإجتماعية القائمة. و يلحقوا الهزيمة بالمستغلين الذين إستفادوا لوحدهم من هذه الظروف و الحكومات و الجيوش التى تدعمها . و إذا على أساس إلحاق الهزيمة بهؤلاء الأعداء ، كان من الممكن بناء مجتمع تحررى حقاً لن يلبي الحاجيات المادية للشعب فحسب بل سيكون قادرا على فتح أفق جديد تماما فى تاريخ الإنسانية . و بالفعل ، وجد قرن كامل من النضال أثناءه قاتل الناس لإنجاز هذه الثورة ، الثورة الشيوعية .

ليس بوسعنا أن نقدّم عرضا كاملا لتاريخ هذه الثورة هنا . (32) لقد وُجدت مكاسب هائلة لا سيما فى الدول الجديدة التى مثلت حكم الجماهير الشعبى نتيجة الثورتان فى روسيا و الصين ، نوع مختلف كلياً من الإقتصاد غير القائم على الإستغلال و خطوات جبارة فى تغيير طريقة إرتباط الناس بعضهم ببعض. و قد كانت هذه السيرورة مليئة بالهياج الشديد و المأسى و شهدت قمم نجاح و كذلك لحظات دنيا و حتى مأساوية فى مسار تاريخها الإيجابى عامة . و لا ينبغى أن نفاجئ بأن يعتبر حكّام العالم المعاصر ، الطبقة الحاكمة الرأسمالية – الإمبريالية و مستغلون و رجعيون آخرون فى علاقة بهم ، هذه التجربة " فظيعة " بالنسبة للإنسانية و يبذلون جهودهم لتثويبها و يحرفوا التاريخ الحقيقى و يحجبوه . لهذا تلخيص أفكيان لتجربة أوّل مرحلة من الثورة الشيوعية ذات أهميّة حاسمة بالنسبة للمضطهدين و لكلّ من يبحث عن طريق للتقدّم نحو نوع من المجتمع مختلف كلياً . فهذه الخلاصة الجديدة قائمة على التجربة الواقعية للجهود العظيمة و الإيجابية فى عمومها و على نقد حقيقى لهذه الجهود و إدماج مزيد من الفهم من مجالات أخرى من النشاط الإنسانى كالبحوث العلمية و الثقافية و الفكرية . و النتيجة هي خلاصة جديدة للشيوعية تضع الثورة البروليتارية على أساس أكثر علمية جاعلة الثورة على حدّ سواء ممكنة التحقيق أكثر و مرغوب فيها أكثر .

إنَّ أهمَّ شيءٍ بشأن الإشتراكية ليس حتى التحسينات العميقة التي أدخلتها على حياة الناس و إنما هي تحديدا إنتقال نحو حقبة جديدة كلياً من تاريخ الإنسان فيها ، لنستشهد بأفاكيان :

" الشيوعية : عالم حيث يعمل الناس و يناضلون معا من أجل الصالح العام ...حيث يساهم كل فرد بما يقدر عليه في المجتمع و يتلقَى ما يحتاج إليه للعيش حياة حريّة بالإنسان...حيث لن توجد بعدُ إنقسامات داخل الشعب تخوّل للبعض أن يحكموا البعض الآخر و يضطهدوه ، سالبينهم ليس فقط وسائل الحياة اللائقة و لكن أيضا معرفة ووسائل الفهم الحقيقي للعالم و العمل على تغييره." (33) .

لقد سعى مناهضو الثورة إلى جعل كلِّ إمراء يعتقد أنّ هدف الشيوعية أسوء من حلم مستحيل التحقق . و هم يحتاجون بأن محاولة توجيه المجتمع في ذلك الإتجاه لا يمكن أنينتج إلاّ طغيانا و يشرع في دوس كلِّ فردية . لكن دراسة عميقة للتاريخ الفعلي للثورة قد بيّن أنّ ذلك إفتراء . كان من الممكن بناء مجتمعات إشتراكية لا تلبي بصورة متصاعدة الحاجيات الأساسية للشعب فحسب بل طفقت كذلك تغيّر طريقة رؤية الناس لبعضهم البعض . عوض كلمة السرّ الرأسمالية " أنا أوّلا " ، بات شعار " خدمة الشعب " المعيار الذي ألهم الملايين ، مثلما شاهدنا في الصين الثورية . لا وجود ل " طبيعة إنسانية غير قابلة للتغيير " لكن بالأحرى إمكانية أن تغيّر الإنسانية الأوضاع [الموضوعية] و تغيّر نفسها . وتبيّن الخلاصة الجديدة للشيوعية لأفكيان كيف يمكن أن ننجز حتى ما هو أفضل في المرحلة التالية من القيام بالثورة البروليتارية بالتعلّم من الأخطاء و النواقص التي ميّزت تجارب الدول الإشتراكية الأولى و تجنّبها .

و لنأخذ مجالا حيويًا واحدا ؛ الخلاصة الجديدة لأفاكيان، تعنى فهما مختلفا لأهميّة لا فحسب السماح بالمعارضة و الصراع الفكري في المجتمع الإشتراكي فحسب بل تعنى أيضا التشجيع عليهما و نبذ فكرة " إيديولوجيا رسمية " تفرض على المجتمع بكلّيته ، و بطرق عدّة مقارنة مغايرة تجاه الإلغاء خطوة خطوة للطبقات و الإختلافات بين العمل الفكري والعمل اليدوي الذي تقوم عليه الطبقات .

ينبغي أن يكون للثورة لبّ و قوّة قيادية في ذلك القسم من السكّان، البروليتاريا و المضطهدين الآخرين، ضحايا الإستغلال و الرجعية و الذين هم أكثر المتحرّقين للتغيير الثوري . بيد أن هذه الثورة لا يجب أن تتمحور حول الثأر ، أو مجرد تعويض لسلطة المستغلّين السابقين بسلطة أولئك الذين تعدّبوا . إنّها تعنى قيادة المجتمع عبر سيرورة تاريخية تامة معقّدة إلى حدّ بلوغ هدفها الشيوعي .

و اليوم نحن في وضع حيث ألحقت الهزيمة بالجهود الماضية للثورة البروليتارية لكن الحاجة إلى الثورة أكبر من أي زمن مضى و القوى التي تقف وراء دفع الناس نحو الثورة لا تزال سارية المفعول . إلاّ أنّه بالنسبة لإمكانية أن تؤدّي الثورة إلى ثورة ناجحة و الرغبة في ذلك ، ينبغي أن تتجز أيضا ثورة في النظرية ، في الإيديولوجيا من خلالها يظهر لبّ ديناميكي للشيوعيين الثوريين المصمّمين على و القادرين على قيادة الجماهير في إفتكاك السلطة و في الإبحار في سيرورة طويلة من تغيير المجتمع . هذه هي أهميّة ما قام و لا يزال يقوم به أفاكيان ، و لهذا يمكن بمعنى معيّن أن يقارن بالإختراقات النظرية لماركس التي أرسّت أساس المعارك الثورية الناجحة و تشكيل دول إشتراكية في القرن العشرين. مستوعبين هذا العلم كما تطوّر اليوم و ماسكين به مسكا صلبا و مطبقينه لتفحص المشاكل والإجابة عنها، مشاكل كيفية القيام بالثورة ، هي مهمّة الذين في كلِّ مكان يريدون القتال من أجل عالم جديد .

توفّر الخلاصة الجديدة للشبوعية المقاربة الأساسية المصقولة لمعالجة مشاكل المجتمع في البلدان العربية و ضياغة مخطّط لحلّها عبر الثورة .

بنظرة شاملة من الممكن رؤية مظهرين كبيرين وثيقي الصلة من التغيير الثوري الذي ينبغي أن يكون في موقع القلب من أي برنامج ثوري حقيقي . أولاً ، هناك كافة الشبكة العنكبوتية للعلاقات بالنظام الإمبريالي العالمي الذي يبقى هذه المجتمعات إقتصادياً و عسكرياً و سياسياً و ثقافياً واقعة في شرك و تابعة [للإمبريالية العالمية] . و ليس بإمكان ثورة حقيقية مجرد محاولة اللهو مع هذه السلاسل أو حتى أسوأ ، أن تحاول أن تقدّر كيف أنّه لنوع ما من " الإستعمال " هذا الرابط أو ذاك بالنظام الإمبريالي العالمي كصنف من الرفاعة أو الميزة . إنّ صناعة البترول العصرية الممرزة إمبريالياً ، لنضرب مثالا واحدا واضحا يعنى عدد من البلدان في المنطقة ، سلسلة ضخمة تكبل الناس و المجتمع ككلّ و ليست نهائياً وسيلة ممكنة " للتحرّر الوطني " . (34) في النهاية و رغم كلّ شيء ، هل أنّ الجزائر الغنيّة بالبترول أقرب إلى كسر السلاسل و التحرّر من الهمنة الفرنسية ، حتى لا نشير إلى إنقلاب في مكانة و أوضاع الجماهير الشعبية ، من ما كانت عليه قبل بضعة عقود ؟ و الشيء نفسه ينسحب على البرامج التونسية التي تدعو للترفيه في تصدير الفسفاط و مواد منجمية أخرى و إلى إرساء مزيد من مراكز إستقبال المكالمات الهاتفية التي لا أفق لها و مزيد تصدير محاصيل تدرّ المال و تطوير " صناعة" السياحة المتقلّصة و المبلّدة للذهن و الملوثة للبيئة أو أي طريق آخر لنهب موارد البلاد و مقدّرات الشعب و مؤهلاته لتتماشى و الرأسمال الأجنبي و تزيد سوءا اللامساواة الفظيعة التي هي بعدُ تستعبد الإنسانية .

و الهدف المباشر الآخر للثورة هو إطلاق العنان لسيرورة كاملة من التغيير الإجتماعي الذي سيشرع في كس العلاقات الإجتماعية الرجعية والأبوية والمتخلّفة و التي لا تزال تثقل جدّاً كاهل جماهير الشعب و المجتمع بأسره . و هتان المهمّتان لا يمكن إنجازهما إلاّ معا لأنّ التغيير الإجتماعي غير ممكن دون التحرّر الوطني و وحده التغيير الصريح لهذه المجتمعات يمكن فعلا من تحريرها من النير الأجنبي . و بغض النظر عن المراحل التي قد يعنيه ذلك ، فإنّ هذا يعنى إنتهاج طريق الثورة الإشتراكية .

و " الإشتراكية أشياء ثلاثة :

أوّلا ، الإشتراكية شكل جديد من السلطة السياسية فيه المضطهدون و المستغلّون سابقا ، في تحالف مع الطبقات الوسطى، و الحرفيين و الأغلبية العظمى من المجتمع ، تتحكّم في المجتمع بقيادة حزب طبيعي ذو نظرة نافذة . و هذا النوع من سلطة الدولة يراقب المستغلّين القدامى منهم و الجدد. و يوفّر إمكانية ديمقراطية – أ- تطلق العنان لإبداع الناس و مبادراتهم في كافة الإتجاهات و – ب- يوفّر لجماهير الشعب الحقّ و القدرة على تغيير العالم و الإضطلاع باتخاذ القرارات الهامة، و يشجّع على النقاش الأبعد مدى ، و يحمى حقوق الفرد. و هذه الدولة الإشتراكية التي أتحدّث عنها هي دكّة إطلاق الثورة في أماكن أخرى من العالم.

ثانيا، الإشتراكية نظام إقتصادي جديد حيث الموارد و القدرات الإنتاجية للمجتمع يمتلكها المجتمع عبر تنسيق الدولة الإشتراكية ، و حيث الإنتاج منظمّ بوعي و مخطّط لتلبية حاجيات المجتمع ، و لتجاوز لامساواة المجتمع الرأسمالي الطبقي- مثل إضطهاد الأقليات القومية و تبعية النساء ز إنّهُ إقتصاد منظمّ لتشجيع الثورة في العالم و لحماية الكوكب. يكفّ الإستغلال و الربح عن التحكّم في المجتمع و في حياة الناس. و تكفّ المؤسسات الصيدلية الكبرى و مجمّعات التأمين و المالية عن تحديد معايير تقديم

الرعاية الصحية و البحث العلمي. ستكتف عن الوجود. لن توجد بعد شركة الجنرال موتورز أو البوينغ - ستكتف عن الوجود هي الأخرى- موجها تطور النقل و إنتاج الطاقة لحاجيات الربحز

ثالثا، الإشترابية مرحلة تاريخية إنتقالية ، بين الرأسمالية و الشيوعية ، مرحلة صراع ثوري و تجريب لتحويل كافة الهياكل الإقتصادية نو كافة المؤسسات و الإتفاقيات الإجتماعية ، و كافة الأفكار و القيم التي تأبد تقسيم المجتمع إلى طبقات." (35)

و هذا الصنف من الدول و هذه الثورة لا يهدفان إلى " تأميم " الإقتصاد التابع [للإمبريالية] و المشوّه و المفكك الموجود حاليًا و لا إيجاد " مكانا لنا " فى التقسيم العالمي للعمل . مصادرة كافة الرساميل و المؤسسات التي هي على ملك الإمبرياليين الأجانب خطوة عملاقة و ضرورية ينبغى إتخاذها لإنجاز ثورة . لكنّها لا تعدو أن تكون خطوة و ستمثل تحديًا كبيرًا بلا شكّ لبناء إقتصاد جديد و حيوي يقفز خارج النظام الإمبريالي العالمي . و مع ذلك دون القيام بهذا ستنمّ خسارة اللعبة مستبقًا .

هناك موارد ضخمة فى البلدان العربية فى نظام إقتصادي - إجتماعي مختلف يمكن أن تنهض بدور مختلف ، دور إيجابي وديناميكي . و الفلاحة التي تخفق فى تغذية الناس فى ظروف الهيمنة الإمبريالية ليس فى مقدورها فقط أن تفعل ذلك بل أيضا أن توقّر قاعدة لنمط جديد مغاير من الإقتصاد الوطني .

المشكل المفتاح ليس " نقص فى النمو " بل الطريقة التي يُنتج بها من أجل الربح عوضا عن الإنتاج من أجل تلبية الحاجيات الإنسانية و أدّى تفوق السوق العالمية إلى تطوير بعض مجالات الإقتصاد و ركود و تخلى مفروضين لمجالات أخرى . و قد قاد هذا إلى إحتداد لاعقلي و محطّم للمعنويات للامساواة بين الجهات القائمة قبالا - مثلا ، بين مصر العليا والسفلى ، و سهل النيل و القاهرة مقابل محافظات على غرار الفيوم ؛ و فى تونس ، الإختلافات القصى بين المناطق الساحلية و المناطق الداخلية . (36)

رغم أنّ القاهرة مثيرة و معقّدة ، فإنّ حجم المدينة وحده - حتى لا نذكر شكل تطورها الفوضوي وغير المخطّط و المنتج للبؤس تماما و كذلك مجازا ، الذى يبعث على الصدمة - يعكس الإضطهاد و التخلف المفروض الذى يضرب جزء كبيرا من بقية البلاد ، ومنه لا يبحث الشباب إلا على الهرب . و هذا ليس سوى مثال بليغ عن الوضع فى عديد البلدان العربية . و هذه الفروقات إلى درجة كبيرة هي نتاج خضوع هذه البلدان لما يجده الرأسمال الإمبريالي و السوق مربحا . هي غير قابلة للتواصل بالمعنى الإنسانى و كذلك البيئي .

ثورة حقيقية ستجعل ممكنا تعبئة الناس فى هذه المناطق المتخلفة و بناء إقتصاد جديد فيه العلاقة الديناميكية بين التخطيط الشامل للدولة على المستوى الوطني ،الذى ينبغى أن يكون أحد أهدافه تجاوز اللامساواة بين المناطق و عدم التوازن الإقتصادي ، و بناء المبادرة و التعويل على الذات على مستويات المحلية و الجهوية أيضا . سيتخذ الفلاحة كعامل مفتاح للقطع مع السوق العلمية و تعبيد الطريق لتطور إشترابي شامل مشددا على تغذية الشعب . و ينبغى أن يوجد إلتزام و تخطيط بما فى ذلك أشكال جديدة من التعاون و التجديد ضمن مختلف قطاعات الشعب - من الأخصائيين إلى عامة الشعب - بغية إنهاء الوضع الحالي أين بقدر ما يطوّر بلد مثل مصر أو تونس فلاحته ، بقدر ما يكون أقلّ قدرة على تغذية سكّانه . فالبلدان كانا قبالا ينتجان غداء و فيرا . و اليوم عليهما أن يستوردا الغذاء لأنّ الماء و الأرض و الرفيين أوكلت لهم مهمّة الإنتاج للسوق العالمية ، تصدير القطن و الحنطة و الثمار و البقول خارج الموسم بينما يأكل ملايين الناس الخبز المصنوع من حبوب نصف مكسّرة و لا شي كثير معهنو الذين لا

يمكنهم إنتاج أرباح للسوق العالمية لا يحتلون على شغل أصلا . أليس هذا إقتصادا يشبه كثيرا السجن حيث ما يحدّد حياة النزلاء هو الحاجة إلى التصدير و بطرق أخرى الحصول على العملة الأجنبية لشراء أشياء كان من الممكن أن تصنّع محليًا منذ البداية خدمة للناس و الكوكب .

لقد كان لمصر حظًا سعيدا بإمتلاكها نهر النيل ومياهه الجارية على ما يبدو لا تنضب . لا يتمتّع كلّ البلدان بمثل هذه الموارد ، لكن يمكننا أن نعتبر هذا الوضع مثالا سيئًا لكيف أنّ نظام الربح يحوّل الميزات إلى نقبضها : كمّيّة الماء التي يحصل عليها الفلاحون يحدّدها رأس المال و سلطة العلاقات التي تسحقهم و تمنع أروضهم من أن تكون منتجة بالتمام ؛ فالريّ مثلما يطبّق الآن يمكن أن يكون مصدرا للثروة لكنّه يترافق أيضا بتحطيم التربة (عبر مراكمة الملح مثلا) ، و الملايين الذين يمضون أيامهم و هم غارقون إلى الركبة في المياه يعنون من أمراض فظيعة تتسبّب فيها المياه كانت الصين الماوية قد إجتنتها قبل نصف قرن من الآن ، و يموت أطفالهم بسبب غياب الماء الصالح للشرب . و هناك سبب إقتصادي بسيط لإيقاف التسرّب الواسع النطاق في قنوات الريّ و أشكال أخرى من تبذير المياه ؛ و غالبية هذه المياه فعليًا " تصدّر " لأنّها تستعمل لزراعة منتوجات تصديرية مستهلكة جدًا للمياه مثل الأزهار ؛ و في النهاية ، جاء تطوّر الفلاحة السقوية في مصر على حساب إمكانية تطوير الفلاحة في بلدان أخرى على طول النيل و منابعه و هكذا هو مواصلة للعلاقات الإضطهادية الإستعمارية المفروضة على المنطقة .

على ضوء كلّ ما تقدّم حتى أحد أكثر مكاسب عبد الناصر فخرا ن بناء السدّ العالي بأصوان ، يجب رؤيته على أنه إشكالي (37) ، مثال عن طريق لن تسلكه مصر إشتراكية . لقد قيل إنّ عبد الناصر إرتأى أن يجعل من النيل و أرضه الخصبة شيء يساوى النفط في جلب الثروة في بعض البلدان العربية الأخرى ، و بطريقة تناقض ظاهري صار ذلك حقيقة : و قد فرضتها قوانين الرأسمالية ، طريقة مسكه قادت إلى تبعية إقتصادية معرّقة و إلى إستقطاب أكبر في الثروة و حياة لا تطاق بالنسبة للغالبية العظمى من المصريين .

إنّ إقتصادا مختلفا جذريًا مستديما بيئيًا يحتاج أن يُبنى ليكون قادرا على :

1- عدم الإعتداع على الإستغلال و توفير الظروف المادية للتقدّم نحو مجتمع خالي من الطبقات ،

2- تلبية حاجيات الشعب ،

3- المساعدة على تجاوز اللاتوازن الجهوي و الصدام بين الصناعة و الفلاحة و يواجه الإمبريالية ويكون معتمدا على الذات ،

4- أن يكون نموذجا و منطقة إرتكاز عملية لمزيد التقدّم الثوري في المنطقة و في العالم ككلّ . و كلّ الفكرة عن ما يمثّل " تطوّر " سنكتسب مغزى جديدا و مغايرا جذريًا حين لن يعود " النموّ " يحكم عليه وفق معيار النظام الإمبريالي العالمي و القوانين التي وضعتها مؤسساته كالبنك العالمي و صندوق النقد الدولي . في هذا النوع من المجتمع الثوري ملكية الدولة و تخطيط الدولة يغدوان وسائلًا محورية لتحقيق الأهداف الثورية و التغيير الإجتماعي .

و سيعنى هذا إعادة التفكير فى التطور المدني والعلاقة بين الريف و المدن الكبرى على ضوء الحاجة الأكبر ، من منظور تطور عقلاى و طويل الأمد و مندمج ، بالمعنى الإنسانى و كذلك بالمعنى البيئى ، و ليس فقط ما هو الأوفر ربحا .

الدولة :

و فى غالبية بلدان الشرق الأوسط و شمال أفريقيا ، يمكن وصف الدولة كأحسن ما يكون الوصف بأنها مستعمرة جديدة . الدولة بأكملها و ليس الحكومة فحسب لكن أيضا قوات الجيش و الأمن و الإدارة البيروقراطية ، قد أنشأها و تشكلت و تدرّبت على الطاعة بصفة مباشرة أو غير مباشرة للنظام الإمبريالى العالمى و قوى مثل فرنسا و بريطانيا و بالطبع الولايات المتحدة . و هذه الدول مدينة بالفضل تماما للطبقات الحاكمة المحلية و الأجنبية و تخدمها . و هي تعزّز علاقات الملكية المهيمنة لتضمن " أفضل جوّ إستثمارى ملائم " للمستغلين العالميين و المحليين . الدولة هي التى تنفّذ البرامج المملّاة من قبل الإمبريالية مثل سياسة التقشّف لصندوق النقد الدولى و الدولة هي التى على إستعداد لإستعمال العنف الوحشى لقمع الشعب . و الدولة الرجعية لا يمكن إطلاقا قضمها عن الجسد الإمبريالى الملحقة به . و تجربة العقود الماضية فى البلدان العربية و كذلك العالم ككلّ ، من ناصر إلى القذافي إلى حافظ الأسد ، قد بيّنت مجددا أن جهاز الدولة المنظم لحماية نظام إستغلالي غير قابل لأن يكون وسيلة لتغيير ثورى مستوفى .

الدولة هي العدوّ المركزى للشعب و العمود الفقرى للنظام الإقتصادى – الإجتماعى الرجعى و لهذا يجب أن يكون تحطيم هذه الدولة الرجعية ينبغى إيجاد نوع جديد تماما من الدولة من القمة إلى القاع ، فيه يكون المستغلون سابقا ، بقيادة طليعة شيوعية حقيقية ، قادرين على أن يوحّدوا حولهم الغالبية العظمى من السكّان . و دولة من هذا القبيل لا يمكن أن تكون إلا أشكال دكتاتورية البروليتاريا المناسبة لبلد معيّن .

و حينما تكون دولة ثورية قد تركّزت بالإعتماد على الذين كانوا سابقا مستغلين ، فإنّ آفاقا جديدة كلياً قد تفتح للتغيير الإجتماعى الذى سيتطلّب و يمكن فى آن معا من دولة – و مجتمع – يقاومان بحبوبة و يعارضان النظام الإمبريالى العالمى المهيمن حالياً . مثلا ، عندما تكون الثورة قد كسرت سلطة ملكية الفئة المالكة للأرض و القبضة الشديدة لنظام الربح على الإستثمارات و التوزيع ، فإنّه يكون ممكنا بلوغ الإكتفاء لذاتى فى الفلاحة بسرعة بالتعويل على جماهير الشعب و ستكون البلاد فى موقع أفضل بكثير لمقاومة الحصار الغذائى و أشكال أخرى من الضغط .

و ما تسمّى ب " النماذج " التى يروّج لها البعض – مثل نظام فنزويلا فى ظلّ تشافيز و خليفته مادورو – هي جميعا تلوينات متنوعة للإبقاء على الدولة القديمة جوهرياً كما هي و الأمل فى العثور على وسيلة توافق مع العالم الإمبريالى ، مثلا عبر بيع النفط فى حال فنزويلا و الأكوادور . و النتائج هي أن هذه المجتمعات جوهرياً لم تتغيّر و تظلّ تحت رحمة كافة أنواع الضغوط . و هتان المهمتان الكبيرتان للثورة – القطيعة مع الشبكة الاقائمة لإضطهاد الإمبريالية للأمم المضطهدة و إطلاق العنان لسيرورة تغيير إجتماعى – صلتها لا تنفصم ، وبالفعل إنّه من غير الممكن تصوّر الواحدة دون الأخرى .

سيحتجّ العديديون قائلين إنّ ما نحتاج من أجله حلم مستحيل . إنّه طريق صعب ، طريق صعب جدّا سيتطلّب صراعا و تضحيات هائلة و سيتطلّب فى النهاية إنتصار الثورة البروليتارية على النطاق

العالمي . لكن الحقيقة هي أنه لا وجود لطريق آخر حقيقي للتحرر الإجتماعي و القضاء على إضطهاد الأمم و اللامساواة بينها . ما هو مستحيل حقًا ، و ما تبيّن المرّة تلو المرّة أنه كذلك ، هو أحلام و مخططات الذين يحاجون أنه هناك طريق ما للتقدّم دون تفكيك أوصال المؤسسات الرجعية القائمة .

النساء كقوة محرّكة من أجل الثورة :

إنّ مسألة دور النساء في مجتمع اليوم و نظرة و برنامج كيف ينبغي تغيير ذلك مسألة مركزية للغاية بالنسبة للمسائل التي أثارها ظهور الربيع العربي وهي في موقع القلب من أي نوع من الثورة نحتاج و أي نوع من المجتمع مرغوب فيه و ممكن .

لقد ظهرت قضية النساء ربّما كأحد خطّ أحمر في البلدان العربية . وكون إخضاع النساء مبني بدقّة في الهياكل الرجعية و الإضطهادية و كامل نظام الإستغلال يجعل النضال ضد إضطهاد النساء قوّة محرّكة ينبغي أن تكون محور أي تغيير ثوري حقيقي . و هنا يمكن أن نرى ليس فقط لماذا ثورة حقيقية جدّ ضرورية و إنّما ستكون كيفية القتال للتحرير التام للنساء كذلك حيوية لتقدّم الثورة ايضاً .

عقب تفكيك الدولة القديمة و جهازها القمعي و تركيز أجهزة جديدة للسلطة الثورية بافمكان وضع حدّ بسرعة كبيرة لأكثر الجرائم فظاعة ضد النساء . مثلاً ، التعبئة الجماهيرية للنساء و الرجال مسنودة بسلطة الدولة يمكن بسرعة كبيرة أن تضع حدًا لإتلاف الجهاز الجنسي الأنثوي ولوباء الإغتصاب و البغاء الواسع الإنتشار. و المبادرات الجريئة و الحيوية التي إتخذها مجموعات نساء و آخرين لحماية النساء في ساحة التحرير أثناء المسيرات و عموماً وسط القاهرة قد كشفت عن حاجة أكيدة لمثل هذه التحرّكات وهي تقدّم تجربة ثمينة لكيفية إنجاز ذلك بطريقة توحدّ حتى بعض الناس المتخلفين في أوّل الأمر ضد العنف المناهض للنساء . لكن هذه التحرّكات تبيّن كذلك التأثير المحدود – مثل جرف الماء خارج زورق إنقلب – إذا لم تكن هذه الجهود جزءاً من بناء حركة ثورية شاملة تهدف إلى أرساء سلطة دولة جديدة و تحريرية تقدر على إجتثاث الأسس الإجتماعية و الإيديولوجية الكامنة وراء هذا السلوك الإجرامي ، مغيرة المجتمع و الناس .

في ظلّ دولة ثورية ، المساواة القانونية الكاملة بشأن الزواج و الطلاق و الملكية و حقوق الإرث – التي لم تتحقّق أبداً في ظلّ بورقراطية أو مبارك ن رغم سمعتهما غير المستحقّة بعكس ذلك – يمكن التوصل إليها بسرعة و تعزيزها . و يجب ضمان التمكّن التام من تحديد النسل و الإجهاض للجميع في الواقع كما في القانون . في الصين الثورية ، مثلاً ، وقع القضاء في الأساس على البغاء في غضون بضعة سنوات، و النساء الجريحات اللاتي دفعهن الفقر و العلاقات الإجتماعية الرجعية إلى هذه الممارسة خُصّصت لهن وسائل ذات معنى للمشاركة في بناء المجتمع الجديد. و إنجاز هذا يعني إستنهاض الناس ليتحدّوا منظومة الأفكار و القيم الرجعية التي جعلت النساء في موقع دوني . و سيعنى ذلك ثورة في الثقافة و التفكير كذلك .

و هذه الأصناف من التغييرات لوحدها يمكن أن تدفع بلدان الشرق الأوسط و شمال أفريقيا دفعا كبيرا إلى الأمام مقارنة بوضع النساء في أكثر البلدان الإمبريالية " تقدّماً " . لكن أهمّ من ذلك بكثير هو كيف أنّ القتال على المدى الطويل لتجاوز إضطهاد النساء لآلاف السنين يمكن أن يكون عاملاً مركزياً و محرّكاً في نضال الإنسانية لتجاوز الإضطهاد و الإستغلال و الطبقات مرّة واحدة . سيكون نضالاً حقيقياً لتغيير العائلة و ضمان أن يقوم الزواج على الحبّ و الإحترام المتبادلين . العائلة التقليدية عادة حصن

للبطريارية و التخلف و يترتب علينا نقد هذا و تغييره جذرياً . و الأدوار الجندرية التقليدية و مفهوم ما يعنيه أن تكون رجلاً أو امرأة سيكون ساحة معركة فى الثقافة و ضمن المضطهدين أنفسهم . و هذه الصراعات و النقاشات ضمن الناس و التجريب الإجتماعي ضروريان ليس فقط للحيلولة دون تفهقر الثورة إلى اوراء – حتى أهم ، يجب أن تساهم فى المحرك الذى يدفعها إلى الأمام .

إنّ القتال حول دور النساء فى المجتمع سيركّز فى المجتمع الإشتراكي المستقبلي و سيميّزه كمرحلة إنتقال ثوري إلى مجتمع مغاير كلياً .

لا الإمبرياليون و لا الأصوليون الإسلاميون بإمكانهم أن يوفّروا لملايين النساء مخرجاً حقيقياً . لكن الثورة بوسعها ذلك ما يفسّر لماذا يمكن جلب النساء المتمردات ، لا سيما الشابات ، إلى نظرة و برنامج شيوعي ثوري تحرّري .

تعبئة القوى الإيجابية :

سيكون لكلّ بلد وضعه و ستكون له حاجياته الخاصين ، لكن فى كلّ مكان تواجه الثورة ذات أنواع المشاكل . فحيثما نظرنا فى عالم اليوم ، هناك إهدار هائل و فظيع – إحباط قدرات الناس و تبخيسهم ، شدّ جنر بأكمله ، نصف السكّان إلى الخلف ؛ إساءة إستعمال الأرض و الموارد الأخرى ؛ و تقنية لا تلعب دورها كما يجب كعامل إيجابي إلاّ إذا إستعملت وفق المبادئ الإشتراكية و ليس وفق مبادئ مراكمة رأس المال .

إنّ إمكانية تغيير المجتمع فى البلدان العربية ينبع من داخلها إذ أنّ أهمّ مصدر لإنتاج و مزيد تثوير هذه المجتمعات هو الملايين من المستغلين و المقهورين أنفسهم . هذه قوّة كبيرة للثورة ، للتغيير ، للعمل الجماعي لمصلحة المجتمع بأسره ، لكنّها قوّة مكبوتة ، مشدودة إلى الوراء ، تصعقها الإمبريالية و الرجعية أو لنقول ذلك بطريقة أخرى ، القوتان اللتان " عفا عليهما الزمن " . بإمكاننا أن نرى ومضة عن هذه القوّة الكامنة فى التمردات التى كنست بن علي و مبارك . لكن عندما تكون السلطة السياسية عملياً بأيدي الشعب بقيادة حزب طليعي ثوري حقيقي ، عندئذ هذه القوّة التعبيرية الكامنة تستطيع حقاً أن تطلق .

لقد كان يأس الشباب المعطل عن العمل أو الشباب فى بطالة مقنّعة هو العالم المحوري فى إشعال الربيع العربي . يمكن لفقدان الأمل التحوّل إلى أمل ، و الشباب المحبط سابقاً قد يجد رضا هائلاً مأثاه العمل و النضال المشترك لأجل مصلحة المجتمع بأسره . غير أنّ هذا يتطلّب صنفاً مغايراً تماماً من النظام الإقتصادي – الإجتماعي .

و ليس على أولئك الذين يوجدون الآن فى أسفل المجتمع فقط أن ينهضوا بدور حيوي فى بناء مجتمع تحرّري ، مغاير كلياً . فاليوم هناك عدد كبير من الشابات و الشبان الذين تلقّوا تعلّماً فى مجال الفنّ و العلوم و يجدون مسالكاً إنتاجية غير كافية لطاقتهم و إبداعاتهم . و مجتمع ثوري بمستطاعه أن يفعل أكثر من مجرد توفير شغل للشباب المتعلّم الذى يدفع الآن فى غالب الأحيان إلى الخارج بحثاً عن المعاش ، فيقع عادة إهدار مواهبهم و مؤهلاتهم . و سيقضى بناء مجتمع إشتراكي أكثر من مجرد مجموعة مهارات و تعليم تقني . الهدف البعيد المدى هو بلوغ مجتمع خالي من الطبقات ، الشيوعية بما يعنى تحطّي التقسيم الرهيب للعمل بين عمل فكري و عمل يدوي حتى يتمكّن الناس ككلّ من الحصول على الثمار الكبرى للثقافة الإنسانية المشتركة ، و تعلّم المنهج العلمي لفهم كلّ من العالم المادي

و المجتمع من أجل تغييرهما ، و يوجد عالم مليئ بما يذهل ، ليس بمعتقداتنا التطيرية و حجاب الجهل و إنما نتيجة التحدي و الإثارة للمساهمة في التوسيع المستمر لمعرفة العالم الفعلي في كل تعقده و عظمته .

سيكون للمثقفين و للشباب المتعلم دور حيوي يلعبونه في هذه السيرورة و سيجدون أيضا مجالا لتحقيق الذات و مساحة للتعبير عن ذواتهم و إبداعاتهم وهي أشياء مستحيلة في مجتمع اليوم . و لن ينجز ذلك بتعزيز المكانة ذات الإمتيازات لحفنة صغيرة من الناس وإنما كجزء مندفع كامل المجتمع إلى الأمام إلى مكان أفضل بكثير .

المعارضة :

و من المظاهر التي يجدها الناس غير مقبولة و التي اضطلعت بدور محوري في مطالب الإنتفاضات العربية ، غياب الحقوق و غياب أية مشاركة ذات مغزى في الحياة السياسية . هذه ليست في الأساس مسألة إنتخابات ، سواء كانت " مغشوشة " أم " حقيقية " ، و التي لم تكن أبدا وسيلة لإحراز تغيير جوهري . و من الأشياء التي بعثت بشحنة كهربائية في العالم شارع الحبيب بورقيبة و ساحة التحرير ليس كنقاط مركزية للمقاومة و حسب ، بل أيضا ك " مناطق محررة " تزخر بالنقاش حول إتجاه الحركة و المجتمع برمته . جميع أنواع الناس ، نساء و رجلا و منهم أناس نشأوا على الصمت في وجه الطبقات المتعلمة ، تحدثوا بصوت عالي و ناقشوا و نقدوا كل الأشياء و كل الأشخاص الذين كانوا يشعرون بأنهم يقفون في الطريق [في طريق التقدم] .

في ظلّ الحكم الرجعي ، كان هذا النشاط يقابل بهجمات الشرطة و المجرمين على ظهور الجمال ، و التعطيم الإعلامي و المخبرين السريين . في المجتمع الإشتراكي المستقبلي هذا النوع من المعارضة لن يكون " مسموحا به " و حسب ، بل يجب أن يُرحّب به و أن يلقي التشجيع من قادة المجتمع و مؤسساته الثورية . الإحتجاج و التمرد الجماهيري و روح الإقدام على التفكير و إعادة التقييم و النقد ستوجد على نطاق قلما يرى و يُشرك الجماهير الشعبية التي هي عادة مستبعدة من الحياة الفكرية و السياسية و كذلك المثقفين الذين سيواصلون لعب دور حيوي في ظروف المجتمع الجديد .

ستحمى سلطة الدولة حقوق الشعب في خوضه هذه الضروب من الصراعات . لنكون واضحين ، يمكن التعبير عن معارضة الإشتراكية طالما أنّ هؤلاء المعارضين لا يحاولون عمليا الإطاحة بالنظام بطرق غير قانونية . إنّ رؤية أفاكيان للإشتراكية رؤية حيث الجدل و المعارضة و الصراع حول الصواب و الخطأ ، و النقاش الجماهيري هي نسيج من صنع المجتمع ، و ليسوا إستثناءا . و الموارد (النشر و مواقع النات و محطات التلفزة و أماكن الإجتماعات و ما إلى ذلك) يجب أن تتوفر كي تصبح هذه الحقوق واقعا و ذات معنى ، على عكس الديمقراطية البرجوازية أين المال و الروابط و الملكية تفرغ " الخطاب الحر " من جلّ معانيه .

و ما هذا التوجه بأمنية تقيّة توضع جانبا مع أول صعوبة . في المجتمع الإشتراكي المستقبلي سيوجد بالتأكيد أعداء خبثاء في الداخل و الخارج سيقومون بكلّ شيء ليرجعوا النظام الرجعي ، لكن غالبا ما تمّ النظر إلى واقع مثل هؤلاء الأعداء و الحاجة إلى قتالهم على أنّه سبب للجوء إلى طرق اليد الثقيلة و إلى عدم التعويل على الجماهير الشعبية و دفعها إلى الأمام .

ينبغي على المجتمعات الاشتراكية الجديدة للقرن الواحد والعشرين أن تتميز بانتشار غير مسبوق لحقوق الفرد ضمن السكان . و الدولة ذاتها ستكون مختلفة نوعيًا عن الدول الموجودة اليوم في أن تلك الدولة الاشتراكية ستكون نتيجة ثورة جماهيرية. و لكن هذا لن يغيّر من أنه ستظلّ هناك تناقضات بين الدولة الاشتراكية و الناس طالما يظلّ من الضروري إمتلاك أية دولة أبدا . و الديمقراطية التي ستزدهر و ضمان حقوق الفرد سيكونان جزءا من النضال للحفاظ على التغيير الإجتماعي في تقدّم و ستخلق ظروف أكثر ملائمة لتقدّم الثورة .

ولنأخذ مثلا المسألة المهمّة للقتال من أجل نظرة علمية لعالم و معارضة النظرات الدينية التي تثقل على تفكير الجماهير . في الأساس ن في كافة البلدان العربية ، سواء بالقانون أو بمجرد ثقل العائلة و التقاليد و وسائل الإعلام و أحيانا مجرمين ، لا يتم تشجيع الناس على الإكتشاف و نقاش وجهات النظر البديلة ، و أولئك الذين لا يؤمنون يجبرون عادة على الصمت . يجب ان يوجد فصل صارم بين الدين و الدولة . و يجب على النظام التعليمي أن يتعاطى مع الدين وفق ذات المعيار العلمي المستعمل في تفحص كافة الظواهر الإجتماعية الأخرى .

وحده مجتمع إشتراكي مختلف جذريًا يسيّر النقاش حول الدين بطريقة جدّ مختلفة . نعلم أنه لفترة طويلة سيرفض عديد الناس الرؤية الشيوعية العلمية للعالم و يتمسكون بالدين . لذلك سيتمّ إحترام حرّية المعتقد و لن يضغط على أي كان كيما يدعى ما ليس عليه . هذا من جهة و من جهة ثانية ، لن يتراجع الشيوعيون عن الصراع حول الدين و النظرة للعالم بصورة أعمّ لأنّه سيكون من غير الممكن بلوغ مجتمع شيوعي إلى أن ينظر الناس إلى العالم كما هو عمليًا و يغيّرونه على ذلك الأساس . و هذا الصراع في مجال التفكير بين المؤمنين و الشيوعيين الثوريين يمكن أن يكون مدرسة حقيقية و مثيرة يشارك فيها الملايين و يتعلّمون و يغيّرون أنفسهم .

ما هو العنصر المفتقد : الشيوعيون الثوريون :

العنصر المحوري الذي تفتقد إليه البلدان العربية اليوم هو لبّ منظمّ من الشيوعيين الثوريين . و هذا لا علاقة له بأحزاب " اليسار " القديمة المتحجرة أو تيارات أخرى صارت بطريقتها الخاصّة ، سواء كان أعضاؤها شبابا أو شييا ، مؤسسات تابعة لمجتمع القديم . و لا يتعلّق الأمر حتى بإنجاز نقد راديكالي للمجتمع . و إنّما يتعلّق الأمر بقوة في المجتمع تظهر و تستوعب بصلابة الحاجة إلى قيادة الجماهير في تحقيق إطاحة ثورية عملية للدولة / الدول القديمة و يكون لديها تصميم و فهم علمي ضروري لبناء نوع المجتمع المختلف راديكاليًا الذي ناقشنا .

وإمكانية التغيير الحقيقي قد تظهر ثمّ تغيب عن النظر . و ترتهن حركية الناس و مبادرتهم و جرأتهم بما إذا كانوا أم لا يؤمنون بأنّ تضحياتهم يمكن أن تقود إلى نتائج تستحقّ ذلك . و عندما لا يعود بوسع الطبقات الحاكمة أن تحكم بالطريقة القديمة لأنها منقسمة و في مأزق و تكون هيكله سلطتها قد فقدت شرعيتها ، لن تحلّ هذه الأزمة آليًا في مصلحة الشعب و النظام الجديد قد يكون سيء مثل سابقه أو أسوأ منه .

هذا هو نوع الوضعية التي عالجهما أفاكيا في رسالته إلى الشعب المصري عقب إلحاق الهزيمة بمبارك:

" في روسيا ، في فبراير/ فيفري 1917 ، أطاحت إنتفاضة شعبية بقيصر مستبدّ (الحاكم المطلق). و مرّة أخرى ، حاول إمبريالو الولايات المتحدة و بريطانيا و بعض القوى الإمبريالية الأخرى

و الرأسماليون الروس إضطهاد الشعب بشكل جديد، باستخدام آليات " الحكم الديمقراطي" و الإنتخابات والتيحتي مع السماح بشيء من المشاركة العريضة للأحزاب المختلفة ، ستكون تحت السيطرة الكاملة لمستغلى الشعب و سوف تضمن إستمرارية حكمهم و المزيد من معاناة الجماهير الشعبية. إلا أنه في هذه الحالة ، تمّ تمكين الجماهير من تعرية المناورات و التلاعب كي تستطيع المضي قدما بالهبة الثورية عبر منعرجات مختلفة حتى إستطاعوا الوصول في أكتوبر 1917 إلى دحر وتفكيك مؤسسات و آليات الدكتاتورية البرجوازية وإقامة نظام سياسي و إقتصاديّ جديد ، الإشتراكية الذى إستمرّ فى التقدّم لعقود منالزمن نحو إلغاء علاقات الإستغلال و الإضطهاد كجزء من الصراع العالمي نحو تحقيق الهدف النهائي- الشيوعية. إنّ الفرق الجوهرى يكمن فى أنّ الإبتغاض الروسى كان لما قيادة فى المركز ، قيادة هيومنية، قيادة تملك همما واضحاً و علمياً لطبيعة النظام القمعى برمته و ليس فقط لهذا الحاكم المستبدّ او ذلك و الحاجة إلى إستمرار النضال الثورى لا من أجل الإطاحة بحاكم معين فحسب و لكن لمحو النظام برمته و إستبداله بنظام يحمّد و ينفخ الحياة فى العرىة و فى المصالح الأساسية للشعب فى ق سعيهمو إزالة كافة أشكال القمع و الإستغلال.

و بالرغم من أنّه تمّفى النهاية الإنقلاب على الثورة فى روسياو إسترداد الرأسمالية فى خمسينات القرن الماضى ، وبالرغم من أنّ روسيا اليوم لم تعد تخفى حقيقتها كقوة رأسمالية-إمبريالية، فإنّ الثورة الروسية لسنة 1917تقدّم دروساً قيّمة و حاسمة فى عالم اليوم . و لعلّ الدرس الأكثر حسماً هو أنّه : عندما تخرج الجماهير بالملايين وتكسر القيود التي كبلتها ضد مضطهديها و ظالمها ، فإنّ السؤال حول إذا ما كان نضالها البطولي هذا سيؤدّى إلى إحداث التغيير الأساسى أى التحرك نحو إلغاء كافة أشكال الإستغلال و الظلم ، فإنّ هذا يعتمد على وجود قيادة ، قيادة هيومنية ، التي تتسلّح بالفهم و الأسلوب العلمى ، و تستطيع على هذا الأساس تطوير النهج الإستراتيجى المطلوب و التأثير على و توطيد الروابط المنظّمة بين الأعداد المتزايدة من الجماهير ، من أجل قيادة إنتفاضة الشعب عبر كلّ المنعرجات و المنعطفات نحو الهدف وهو التحوّل الثورى الحقيقى للمجتمع بما يتوافق مع المصالح الأساسية للشعب . و عندها ، عندما تحطم الجماهير الغفيرة " الروتين الرتيب " و القيود التي كانت تكبلها بسبب العلاقات القمعية التي كانوا يزرحزم تحتها –عندما يحطمون كلّ ذلك وينتفضون بالملايين – تكون هذه هي اللحظة الحاسمة للتنظيم الشيوعى لتطوير علاقته مع هذه الجماهير و رصّ صفوفه و تعزيز قدرته على القيادة . أو إذا لم يكن هذا للتنظيم الشيوعى موجوداً ، أو كان متواجداً فى شظايا معزولة ، فإنّ هذه اللحظة تكون هي الحاسمة لإنطلاقة التنظيم الشيوعى و تطويره ليأخذ على عاتقه مواجهة التحدى المتمثّل فى دراسة و تطبيق النظرية الشيوعية بطريقة خلاقة فى خضمّ هذه الظروف المضطربة و لتطوير علاقته بإستمرار مع الجماهير و التأثير فيها للوصول فى نهاية المطاف إلى قيادة الأعداد الغفيرة منهذه الجماهير نحو الثورة التي تمثّل المصالح الأساسية و السامية ، ألا وهي الثورة الشيوعية .

... إلى كلّ الذين يريدون حقاً أن يروا هذا النضال البطولي للجماهير المضطهدة فى ظلّ القيادة المطلوبة يتطوّر فى إتجاه التحوّل الثورى الحقيقى و تحرّر أصيل للمجتمع : الإنخراط و الإلتزام بوجهة النظر و الأهداف التحررية للشيوعية ، و فى التحدى فى إعطاء هذا التعبير المنظمّ و فى التأثير و الحضور المتنامى بين الجماهير المناضلة . " (38)

ماذا سينتج عن الإنتفاضات العربية ؟

لقد وقرت السنوات القليلة الأخيرة دروسا غنية ، إيجابية و سلبية حول التأثير القوي لأقلية صغيرة نسبيا في علاقة ببقية المجتمع . عندما كانت عموما متخذة إلى جانب المصالح الأساسية للشعب ، كانت مثابرة الشباب وآخرين عاملا باعثا لجوّ عام عبر المجتمع سنة 2011 . لأن ترقبوا إلى أن تقرّر الجماهير عامة ، أو غالبيتها ، و عن وعي الحاجة إلى تغيير المجتمع و إمكانيته و كيفية القيام بذلك و توقيته ، لكان مبارك و بن علي لا يزالان جالسين في قصورهما و لكانت غالبية الناس تقول بأنّه لا وجود لبديل . لكن هذه الفترة مدّتنا بدروس مرّة أيضا .

فالأزمة الثورية لا يمكن أن تصبح إمكانية حقيقية للقيام بالثورة دون عمل حزب ثوري و ظهور حركة شيوعية ثورية في صفوف الجماهير – حركة تقودها الشيوعية كعلم و كهدف ، حركة حتى و إن كانت صغيرة تبحث عن كلّ فرصة ليكون لها تأثير كبير على المجتمع برمته و بناء قوّة تهدف للتمكّن من إفتكاك السلطة حينما تنضج الظروف . و الأحداث إلى الآن في 2013 قد أظهرت الحاجة الماسة إلى مثل هذه الحركة : و في النهاية ستجد فترة الإضطراب التي إفتتحها الربيع العربي معالجة ، و دون ظهور قيادة و إتجاه مختلف ، قيادة شيوعية ثورية ، سيتوفّر حلّ رجعي ، مثلما نشاهد ، هو بصدد التشكّل و الإختبار بأشكال متباينة اليوم .

و يمكن أن نرى أهميّة هذا من تجربة الشعب الإيراني خلال ثورة 1979 ضد الشاه و بعد ذلك . و الرفاق من إيران الذين عاشوا تجربة الثورة هذه التي وقع السطو عليها و تحويل وجهتها و هزيمتها ، قد لخصوا هذه الدروس المرّة . و على المصريين و التونسيين و آخرين الذين لهم أوهم حول القوى الإسلامية و كذلك الذين ينوون وضع أنفسهم بين أيدي الجيوش الموالية للإمبرياليين للحيلولة دون العذابات التي عانى منها الشعب الإيراني مذّاك ، عليهم مراعاتها .(39)

و لكن إن ظهرت حركة ثورية لها قوّة كافية لتشرع في كسر عقلة القوتين اللتين " عفا عليهما الزمن " و حتى أكثر إن حدثت ثورة في أي بلد ، فإنّ ذلك سيفرز تغييرا حقيقيا الحاجة إليه كبيرة جدا في وضع المنطقة و في العالم الصعب اليوم . قد تساعد على التقدّم في القيام بالثورة في بلدان أخرى و بدورها قد تأتّر على الوضع بحدّات الإختراق الأوّل . و بالرغم من كلّ شيء ، إذا إستطاع ما جدّ بسيدي بوزيد وهي مدينة منعزلة في بلد صغير أن يمتدّ عبر المنطقة و يأتّر في الناس عبر العالم ، فكروا في ما يمكن أن يجدّ لو ظهر شيء ثوري حقّا ، حركة تقاوت من أجل مخرج في تناقض مع الفظائع التي يعتبر غالبية الناس الآن أنّها الإمكانيات الوحيدة .

و هناك حجة تقول إنّه إن لم يستطع الليبراليون و الإصلاحيون و التحريفيون و " الشيوعيون " إيجاد أذان صاغية في المجتمع ، فإنّه لا مجال لأن تتمكّن الشيوعية الثورية من الارتباط بالجماهير . لكن محاولة إيجاد رأسمالية دون إستغلال و إضطهاد خبيثين للأمم أو حكم إسلامي " إنساني " دون إضطهاد النساء – هذه هي الحلول غير الممكنة التحقيق و بقدر ما يكون سريعا كسب قطاع من القادة و الناشطين الممكنين إلى فهم هذا الواقع و الفعل فيه بقدر ما يكون ذلك أفضل . و السعي إلى تجنّب الجدال لن يخدم الشعب أو يخفّف من أفكاره الدينية المسبّقة فقط بل سيضمن أنّ الكثير من تفكيره الذي صاغته العلاقات الإقتصادية و الإجتماعية السائدة ، سيظلّ كما هو في تناقض مع أعمق طموحاته و مصالحه الجوهرية .

و الميزة الكبرى هي أنّ الإطار [النظري] الجوهرى يوجد فى العالم ، إنه الخلاصة الجديدة للشيوعية الثورية التى طوّرها أفاكيا ، و هي قادرة على تمكين الثوريين فى كلّ البلدان على أن يروا ، بطريقة أساسية ، نوع التغيير الثوري الذى يحتاجه العالم وهو ممكن . وكلّ من يرغب فى القتال من أجل تحرير الجماهير يجب أن يتفاعل مع الفهم العلمى الأكثر تقدّمًا الذى برز . و لأنّ النظرة و المنهج و التحليل الشيوعى الثوري يتناسبون مع الواقع و يمكن أن يوفّروا أجوبة للمشاكل التى دفعت الناس للتحرك .

يجب على التيار الشيوعى الثوري أن يركّز نفسه و يرمى بجذوره ضمن عدد متنامي من الناس ، من قاع المجتمع و عبره ، يتبنّى هذه القضية و ينهض عن وعي بدور نشيط فى تغيير العالم وهي نظرة و حركة لا أحد آخر يمكن أن يوفّرها لهم . لأن كان عدد كبير من الناس ينوون التضحية بحياتهم دون رؤية واضحة لما يمكن أن ينجّر عن التضحيات ، تصوّروا ما الذى يمكن أن يحدث إذا كانت نظرية علمية لمجتمع ممكن جديد و تحرّري تحفز أعدادا متزايدة من الناس و تصبح قوّة فى النضالات حول كافة المشاكل و المواضيع التى واجهها الملايين و ناقشوها غداة الإنتفاضات العربية .

و إحتداد الصراعات التاريخية علامة على عمق هذا النوع من الأزمات الإجتماعية يمكن أن يعني إفلاس هذه المشاريع الرجعية التى يقع " إختبارها " بسرعة ، و إمكانية أن يتوصّل ملايين الناس بسرعة أكبر بكثير إلى فهم أساسى لما يجب القيام به . و لكن هذا ليس بوسعه أن يتمّ إلاّ إذا ظهرت قوّة سياسية بمقدورها أن تقاوم من أجل أن تسلّط ضوءا حقيقياّ أى علمياّ على طبيعة المشكل و حلّه العلمى . توجد إمكانية تقدّم ثوري حقيقى و أيضا توجد إمكانية التعرّض مستقبلا حتى إلى فظائع أسوأ. فى ظلّ الظروف القائمة الآن فى شمال أفريقيا و الشرق الأوسط ، حتى مجموعات صغيرة من الناس تحمل فهما شيوعياّ ثورياّ بوسعها أن تحركّ لناس على نطاق واسع . و العدد القليل اليوم قد يستحيل إلى آلاف يقودون الملايين .

و هذا ما يجعل مهمّة التفاعل مع الخلاصة الجديدة للشيوعية و إستيعابها مهمّة حيوية و ملحّة إلى أقصى الحدود ، لا سيما فى خضمّ التطلعات الثورية و المخاطر المتزايدة فى منطقة الشرق الأوسط و شمال أفريقيا .

الهوامش :

1- لقد تمّع الجيش المصرى بمكانة معينة فى صفوف الشعب نظرا لدوره التاريخى . فقد أطاح إنقلاب 1952 بالنظام الملكى الذى كانت تهيمن عليه بريطانيا و فى السنوات التالية فى ظلّ جمال عبد الناصر وقع تجريد الإقطاعيين الموالين بريطانيا من الكثير من أراضيهم و سلطتهم . لكن عبد الناصر قدعول دائما على الرأسمال الأجنبى و الحماية العسكرية من واحدة أو اخرى من القوى العظمى وسط وضع عالمى متغيّر و معقّد ، متميّز بتنافس شديد بين الإمبرياليين البريطانيين والفرنسيين المنهكين من جهة و الإمبريالية الأمريكية التى صارت قوية بشكل كبير من جهة أخرى ، و ظهور الإتحاد السوفياتى كقوّة إمبريالية عقب إعادة تركيز الرأسمالية هناك فى شكل رأسمالية دولة " إشتراكية " . و كان خليفة ناصر ، أنور السادات ، أوفر نجاحا مناصر فى توجيه ضربة للغزاة الصهاينة فى 1973 إلاّ أنّ الجيش المصرى إستغلّ ذلك كفرصة للتفاوض على إستسلامه لمطالب الصهاينة و راعيتهم الولايات المتحدة .

و إنتهت هذه السيرورة إلى إتفاقيات سلام 1979 مع إسرائيل تضمّنت الإعادة الشكلية لمظهر عديدة من السيادة المصرية على شبه جزيرة سيناء و القنال و أطلقت بالفعل تحالف مصر مع إسرائيل ضد الحركة الوطنية الفلسطينية. و ستكون مبالغة صغيرة فقط أن نقول إنّ " إسرائيل و الجيش المصري يد واحدة " . و حينما عاد الجنرالات بقيادة عبد الفتّاح السيسي إلى الحكم مباشرة في 3 جويلية 2013 ، صرّح السفير الإسرائيلي في مصر : " السيسي ليس بطلا قوميا بالنسبة لمصر إلاّ أنّه بطل بالنسبة لكافة اليهود في إسرائيل ... " (ذكره راي بوش في إفتتاحية شهر أوت ضمن " المسألة الإفتراضية " من " مجلّة الإقتصاد السياسي الأفريقي ") .

2- و قد بدأوا نشاطهم في السنوات الأخيرة لمبارك و أثناء إنتخابات مرسي لسنة 2012 ، حاجج الإشتراكيون الثوريون بأنّه ينبغي مساندة الإخوان المسلمين (سميح نجيب : " أحيانا مع الإخوان المسلمين ، لكن دائما ضد الدولة ") و هو تحليل قلّص الدولة إلى شخص مبارك و الجنرالات الأقرب إليه . ثمّ ، إثر الإقّلاب في 3 جويلية 2013 ، تدمّروا : " لقد خان محمد مرسي و الإخوان الثورة . لم يطبّقوا و لا واحد من مطالب الثورة بالعدالة الإجتماعية و الحرّية و الكرامة الإنسانية و القصاص لشهداء الثورة . " (سميح نجيب ؛ " مصر : أربعة أيّام هزّت العالم " 3 جويلية 2013) . و رحّب أحمد شوقي ، ناشر " مجلّة الإشتراكي العالمي " ، بتولّي الجيش أمر السلطة على أنّه إعتراف بواقع أنّ إرادة الشعب المصري لم تعد تقبل بحكومة مرسي " (أحمد شوقي " مصر كلّها هي التحرير " ، 5 جويلية 2013) .

ثمّ التحوّل إلى الضفّة الأخرى من جديد ، بعد مدّة طويلة من تظاهر القادة الليبراليين و عديد الآخرين من أجل عزل مرسي ، شرعوا في النأي بأنفسهم عن مجزرة الجيش ضد مساندي الإخوان المسلمين ، و ندّدوا ب " الحكم العسكري " في نفس الوقت الذي إستفاقوا فيه على كون الإخوان المسلمين كانوا فنويين . و مع ذلك " ظلّوا يعتبرون أنّ عزل مرسي أتى نتيجة " الموجة الثورية ل 28 جوان " - التي عبّدت الطريق للإقّلاب (" حكم الرعب العسكري في القاهرة " 14 أوت 2013) . بإختصار إن كانت المواقف السياسية للإشتراكيين الثوريين متقلّبة فلأنّهم إجتهدوا بثبات لركوب أمواج التقلّبات السياسية و ليبرّروا هذه التقلّبات السريعة على أنّها تكتيكات " ماركسية " (في الواقع ، تروتسكية) .

و في نفس الوقت ، بمزاج أكثر برودة بعد مدّة ليست طويلة عن التسمّم الأولى ب " نجاح " المسيرات الموالية للإقّلاب ، إستخلص نجيب أنّه نظرا لمساندة حكّام العربية السعودية والإمارات المتحدة العربية لإبعاد مرسي و لعودهم بتمويل الحكومة الجديدة ، لن تكون الثورة ممكنة في مصر إلى أن تسقط هذه الأنظمة - ما يعنى على الأرجح أبدا بما أنّ الظروف في مصر بجماهيرها الغفيرة المسحوقة في الريف و المدن ، أكثر مواتة بكثير للثورة من تلك في البلدان التي تتميّز بصورة خاصّة بغياب مثل هذه الظروف . و يشكو نجيب من أنّ العالم الآخر الذي يعرف الثورة في مصر هو ثقل الريف و خاصة الجنوب المصري " أين للحركات الإسلامية أكبر الدعم " . (ينبغي على الثورة المصرية أن تنتشر لكي تكسب " ، 16 جويلية 2013 . و إنظروا كذلك " لرسالة الإشتراكيين الثوريين إلى الأنصار " ، 14 أوت 2013 . و كافة هذه النصوص نشرت على موقع الأنترنت :

socialistworker.co.uk

سُئِنَى أَكْثَرَ بِمَسْأَلَةِ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ وَ الْفَقْرِ لآحِقَا ، لَكِن هُنَا سَنُثِيرُ سْؤَالَيْنِ إِثْنَيْنِ : مَنذُ مَتَى كَانَ الْفَقْرُ وَ غِيَابُ " التَّطَوُّرِ " مَعْرِقَلَيْنِ لِلثَّوْرَةِ ؟ وَ إِنْ كَانَ صَحِيحًا أَنَّ الْفِكْرَ الْإِسْلَامِيَّ (لَيْسَ فَحَسْبُ فِي الرَّيْفِ بَلْ وَاقِعِيًّا فِي سَائِرِ الْمَجْتَمَعِ) مُشْكَلٌ فَلِمَاذَا لَمْ يَعْضُهُ الْإِشْتِرَاكِيُونَ الثَّوْرِيُونَ - إِلَى الْيَوْمِ ؟

لَقَدْ إِتْبَعَ الْإِشْتِرَاكِيُونَ الثَّوْرِيُونَ عَلَى الدَّوَامِ تَكْتِيكَ مَعَارِضَةٍ كَلَّمَا يَحَدِّدُونَهُ عَلَى أَنَّهُ " الْعَدُوُّ الرَّئِيسِيُّ " فِي آيَةِ لِحْظَةٍ . لَكِن مَا هِيَ الْإِسْتِرَاتِيْجِيَا - مَا هِيَ الْأَهْدَافُ - الَّتِي يَحَاوِلُ هَؤُلَاءِ التَّكْتِيكِيِّينَ الْبَارِزِينَ تَطْبِيقَهَا، عَدَا " فَرْصَةٌ لَا تَقُوْتُ لِلنَّمُوِّ " مِثْلَمَا يَصِفُ نَجِيْبُ الْوَضْعِ الْيَوْمَ ؟ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ عَيْنُ مَفْهُومِ الْإِنْتِهَازِيَّةِ ؟

3 - نَجِيْبُ ، " مِصْرُ : أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ هَزَّتْ الْعَالَمَ " .

4 - فَرْضِيَّةٌ وَ حِجَّةٌ أَنَّهُ نَظَرًا لِكُونِ الْجَمَاهِيرِ بِمَلَائِيْنَهَا فِي حَرَكَةٍ ، مَهْمَا تَقُوْمُ بِهِ سَلِيْمٌ وَ صَحِيْحٌ وَهُوَ فِي الْأَخِيْرِ فِي مِصْلَحَتِهَا ... هَذِهِ الْأَبْسْتِيْمُولُوجِيَا الشَّعْبِيَّةُ مِقَارِبَةٌ تَحَدِّدُ الْحَقِيْقَةَ بِمَا يَفْكِّرُ فِيهِ النَّاسُ أَيُّ بِالرَّأْيِ الْعَامِ. إِنَّمَا لَا تَطْبَقُ الْعِلْمُ لِفَهْمِ الْوَاقِعِ الْمَوْضُوعِيِّ فِي سِيْرِهِ وَ دِيْنَامِيْكِيَّتِهِ الْكَامِنِينَ ، غَنَّمَا لَا تَتَحَدَّى وَ لَا تَدْحُضُ وَلَا تُغَيِّرُ الْأَفْكَارَ وَ طُرُقَ التَّفَكِّيْرِ الْخَاطِئَةَ لِدِي النَّاسِ الَذِيْنَ هُمْ غَيْرُ مَنْسَجَمِينَ مَعَ الْوَاقِعِ الْمَوْضُوعِيِّ ، وَ مِنْ هُنَا فِي الْأَخِيْرِ تَتْرِكُ الْعَالَمَ " كَمَا هُوَ " . (" مَلَائِيْنُ النَّاسِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُوْنُوا خَاطِئِينَ - الْإِنْتِقَالُ فِي مِصْرٍ لَيْسَ ثَوْرَةٌ شَعْبِيَّةٌ " ، الثَّوْرَةُ عِدَدُ 312 ، جَرِيْدَةُ الْحَزْبِ الشَّيْوعِيِّ الثَّوْرِيِّ ، الْوَالِيَاَتِ الْمَتْحَدَةِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ) .

وَ أَرْقَامُ 17 مِلْيُونًا (أَوْ 33 مِلْيُونًا مِثْلَمَا يَدَّعِي الْكَثِيرُونَ) فِي شُورَاعِ مِصْرٍ تَدْعُو الْجَنْرَالَاتِ أَنْ يَتَدَخَّلُوا مَجْرَدًا وَهُمْ يَبْحِثُ عَنْ مَلْجَأٍ مِنَ الْوَضْعِ السِّيَاسِيِّ الْمَعْقَدِ الْيَوْمَ بِالْإِعْتِمَادِ عَلَى فِكْرَةٍ أَنَّ الْمَلَائِيْنَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُوْنُوا عَلَى خَطِّهِ وَ الْمَبَالِغَةِ فِي عِدَدِ الْمَلَائِيْنَ عِدَّةٌ مَرَّاتٍ وَ تَجَاهُلِ الْمَلَائِيْنَ الْمَسَانِدَةَ لِلْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ (الْمَلَائِيْنَ الْخَاطِئَةَ) . لَقَدْ كَانَ هَذَا مُشْكَلًا عَلَى الدَّوَامِ . سَاحَةُ التَّحْرِيْرِ لَيْسَ بُوَسْعِهَا الْإِتْسَاعُ حَتَّى لَمِلْيُونِ شَخْصٍ . وَ إِدْعَاءُ أَنَّ الْمَلَائِيْنَ نَهَضُوا فِي جَانْفِي 2011 لِمَعَارِضَةِ حِجَّةِ نِظَامِ مِبَارِكٍ بِأَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِمَسَانِدَةٍ " الْغَالِبِيَّةِ الصَّامِتَةِ " كَانَ مُؤَشِّرًا أَوْلِيًّا عَلَى فَهْمِ غَالِطِ (فِكْرَةٍ أَنَّ الشَّرْعِيَّةَ السِّيَاسِيَّةَ تَتَأْتِي مِنَ الْمَسَانِدَةِ الْغَالِبِيَّةِ) الَّتِي جَعَلَتْ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ ذُوِي الْفَتْكِيْرِ الثَّوْرِيِّ مُضْطَرِبِينَ فِي التَّوْجِهِ وَهُوشِيَاءَ بِدِيْهِ خَاصَّةً الْآنَ وَ الشَّعْبُ مَنْقَسَمٌ بِمَرَارَةٍ كَبِيْرَةٍ .

5- قَدَّمَ بَعْضُ النَّاسِ مَفْهُومَ " الدَّوْلَةِ الْعَمِيْقَةِ " وَ قَصَدُوا بِهِ رَجْعِيَيْنَ مَتَأْمِرِينَ لَا يَلِيْنُونَ مَتَمْتَرِسِينَ فِي صَفُوفِ الْقُوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ وَ الْمَوْسَسَاتِ الْأَمْنِيَّةِ . وَ هَذَا يَنْحُو إِلَى رُؤْيَا الدَّوْلَةِ كَشْفِيْنَ وَاحِدٍ مِّنْتَخَبٍ يُمْكِنُ تَغْيِيْرُهُ لَخِدْمَةِ مِصَالِحِ الشَّعْبِ وَ الْآخِرُ غَيْرُ مِّنْتَخَبٍ وَهُوَ يُمَثِّلُ الْمِصَالِحَ الرَّجْعِيَّةَ وَ يَقَاوِمُ التَّغْيِيْرَ . إِنَّ جِهَازَ الدَّوْلَةِ كَكَلِّ أَدَاةٍ لِدِكْتَاتُورِيَّةِ الطَّبَقَاتِ الْحَاكِمَةِ ضِدَّ الشَّعْبِ ، وَ الْإِنْتِخَابَاتِ تَهْدَفُ إِلَى خِدْمَةِ هَذِهِ الدِكْتَاتُورِيَّةِ بِمَا فِي ذَلِكَ تَحْدِيدَ الْإِطَارِ الَذِي يُمْكِنُ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْ يَشَارِكُوا فِي السِّيْرُورَةِ السِّيَاسِيَّةِ . (سَنَكُونُ لَنَا فَرْصَةٌ الْمَزِيْدُ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ مَسْأَلَةِ الْإِنْتِخَابَاتِ لآحِقًا) . هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ جِهَازِ الدَّوْلَةِ وَ الْحُكُومَةِ الْقَائِمَةِ الْيَوْمَ ، بِيْدُ أَنَّ الْحُكُومَةَ الَّتِي لَا تَخْدُمُ مِصَالِحَ الطَّبَقَةِ الْحَاكِمَةِ لَنْ تَدُومَ - مَرْسَى مِثَالِ ذَلِكَ . لِسُخْرِيَّةِ الْأَقْدَارِ ، سَهَّلَ مَرْسَى التَّغْيِيْرَاتِ فِي قِيَادَاتِ الْقُوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ بِمَا أَفْرَزَ الْجَنْرَالَاتِ الْإِلْمِصْطَفِيْنَ مَعَ بَعْضِ الذِّيْنَ أَطَاحُوا بِهِ . وَ شَكَوَى أَمْرَسَى تَرِكُ الْقُوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ وَ الشَّرْطَةَ وَ الْقَضَاءَ وَ هِيَآكِلَ أُخْرَى تَطَوَّرَتْ فِي ظِلِّ مِبَارِكٍ كَمَا هِيَ " غَيْرُ عَادِلَةٍ " ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ أَبَدًا ذَلِكَ الْخِيَارَ إِلَّا أَنَّهُ مِنَ الْمَهْمِّ أَيْضًا أَنْ نَقَرَّ بِأَنَّ الْإِخْوَانَ الْمُسْلِمِينَ أَرْتَأَوْا تَقَاسَمَ السُّلْطَةَ مَعَ قُوَى النِّظَامِ الْقَدِيْمَةِ وَ سُمِّحَ

لها - أو بالأحرى وقع التآمر - بالمشاركة فى الحكومة على أمل أن يساعد ذلك على إعادة الشرعية لوضع لم يعد ملايين المصريين بعدُ يقبلون به .

6 - لقد كان بوب أفاكيان رئيسا للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية منذ تأسيسه سنة 1979. و قد نهض أفاكيان بدور حاسم فى تحليل الثورة المضادة التى حصلت فى الصين بعد وفاة ماو فى 1976 و فى توحيد الشيوعيين حول العالم للمضيّ قدما على خطى الإرث الثوري لماو تسي تونغ . و فى العقود العديدة الأخيرة كان يتفحص المظاهر الإيجابية و السلبية لتجربة بناء الاشتراكية فى الإتحاد السوفياتي و الصين ، علاوة على التطورات الأخرى فى المعرفة الإنسانية . و كانت النتيجة هي خلاصة جديدة للشيوعية . و مثلما كتب : " تعنى الخلاصة الجديدة إعادة تشكيل و إعادة تركيب الجوانب الإيجابية لتجربة الحركة الشيوعية و المجتمع الاشتراكي إلى الآن ، بينما يتمّ التعلّم من الجوانب السلبية لهذه التجربة بإبعادها الفلسفية و الإيديولوجية و كذلك السياسية ، لأجل التوصل إلى توجه و منهج و مقاربة علميين متجدّرين بصورة أعمق و أصلب فى علاقة ليس فقط بالقيام بالثورة و إفتكاك السلطة لكن ثمّ ، نعم ، تلبية الحاجيات المادية للمجتمع و حاجيات جماهير الشعب ، بطريقة متزايدة الإتساع ، فى المجتمع الاشتراكي - متجاوزة نذب الماضى و مواصلة بعمق التغيير الثوري للمجتمع ، بينما فى نفس الوقت ندعم بنشاط النضال الثوري عبر العالم و نعمل على أساس الإقرار بأن المجال العالمي و النضال العالمي هما الأكثر جوهرية و أهمية ، بالمعنى العام - معا مع فتح نوعي لمزيد المجال للتعبير عن الحاجيات الفكرية و الثقافية للناس ، مفهوما بصورة واسعة ، و مخولين سيرورة أكثر تنوعا و غنى للإكتشاف و التجريب فى مجالات العلم و الفنّ و الثقافة و الحياة الفكرية بصفة عامة ، مع مدى متزايد لنزاع مختلف الأفكار و المدارس الفكرية و المبادرة و الخلق الفرديين و حماية الحقوق الفردية ، بما فى ذلك مجال للأفراد ليتفاعلوا فى " مجتمع مدني " مستقلّ عن الدولة - كلّ هذا ضمن إطار شامل من التعاون و الجماعية و فى نفس الوقت الذى تكون فيه سلطة الدولة ممسوكة و متطورة أكثر كسلطة دولة ثورية تخدم مصالح الثورة البروليتارية ، فى بلد معين و عالميا و الدولة عنصر محوري ، فى الإقتصاد و فى التوجّه العام للمجتمع ، بينما الدولة ذاتها يتمّ باستمرار تغييرها إلى شئى مغاير راديكاليا عن الدول السابقة ، كجزء حيوي من التقدّم نحو القضاء النهائي على الدولة ببلوغ الشيوعية على النطاق العالمي." (بوب أفاكيان ، " القيام بالثورة و تحرير الإنسانية " ، الثورة عدد 105 ، 21 أكتوبر 2007) .

7- " لا وجود ل " ضرورة دائمة " لأنّ تكون الأشياء على ما هي عليه - يمكن إيجاد عالم مختلف و أفضل راديكاليا عبر الثورة " ؛ الثورة عدد 195 ، 17 مارس 2010 .

8 - مع أواسط العشرية الأولى من الأقلية الثانية ، كانت البنوك الإسلامية العاملة فى مصر تتحكّم فى حوالي 10 بالمائة من الودائع التجارية فى النظام البنكي للبلاد ... 8 من العشرين عائلة الأغنى فى مصر أثناء التسعينات و العقد الأوّل من الأقلية الثانية ، بركائز محاصصة بينها واسعة و مترابطة من خلال القطاع الخاص ، لها صلات مباشرة سواء بالإخوان المسلمين أو المجموعات السلفية الأخرى . و أحدث من ذلك الرهن الإسلامي الذى ظهر لاعبا مفتاحا فى إحدى صناعات البلاد الأكثر إستراتيجية و نموًا . فى الأقلية الثانية ، كان الفكر الإسلامي يركّز نفسه فى أعلى السلم الإجتماعي المصري " طارق عصمان ؛ " مصر على حافة الهاوية " منشورات جامعة يال 2010 ، الصفحة 109-110 .

9- ما يناهز العشرة ملايين إنسان كانوا و عائلاتهم فى السابق مزارعين إضطروا إلى مغادرة الأرض فى العقدين الماضيين . و هذا من سكان يعدون تسعين مليوناً . (بوش ، إفتتاحية " مجلة الإقتصاد السياسي الأفريقي " ، أوت 2013).

10- هذه الحجّة يقدمها جبار الأشقر فى " الشعب يريد : إستقراء راديكالي للإنتفاضات العربية " دار الساقى 2013 ، ص 250-261.

11- " وفقاً للمفهوم المادي عن التاريخ ، يشكّل إنتاج و تجديد إنتاج الحياة الفعلية العنصر الحاسم ، فى آخر المطاف ، فى العملية التاريخية . و أكثر من هذا لم نؤكد فى يوم من الأيام ، لا ماركس و لا أنا . أما إذا شوّه أحدهم هذه الموضوعات بمعنى أن العنصر الإقتصادي هو ، على حدّ زعمه ، العنصر الحاسم الوحيد ، فإنه يحول هذا التأكيد إلى جملة مجردة ، لا معنى لها ، و لا تدلّ على شيء. إنّ الوضع الإقتصادي إنما هو الأساس ، و لكن مختلف عناصر البناء الفوقي تؤثر هي أيضاً فى مجرى النضال التاريخي ، و تحدد على الأغلب شكله فى كثير من الأحيان ...".

(إنجلز " رسالة إلى يوسف بلوخ " ، 21-22 سبتمبر 1890) .

12- كريس هارمان ، " الرسول و البروليتاريا : الأصولية الإسلامية و الطبقة و الثورة " حزب العمال الإشتراكي ، لندن 1999. و النصّ الكامل متوفّر على الأنترنت على موقع

www.socialistworkers.co.uk

هذا هو الأساس النظري لمساندة الإسلاميين وهو بمثابة نداء للتيار الإشتراكي العالمي ، رغم أنّ مثل هذا التفكير من الصعب أنحصره لدى التروتسكيين .

13- كان سمير أمين أحد أكثر المنظرين بروزاً ضمن معارضي الإمبريالية لعقود و ضوء قائد للمنتدى الإجماعي العالمي. و مع ذلك ساند الغزو الفرنسي لمالي و الانقلاب فى مصر بحجّة أنّه نظراً لكون الفكر الإسلامى يبقى البلدان فى حالة ضعف ، فإّ تحرّكاً عسكرياً ضد الإسلاميين يمثل صفة للهيمنة الأمريكية . يجب أن يسمى هذا خيانة من شخص كسمير أمين يعتبر نفسه ماركسياً ، لكن لسوء الحظّ يعدّ ذلك رأياً شائعاً فى أوساط العديد المصريين و غيرهم . (للإطلاع على كتابات سمير أمين عن الفكر الإسلامى طول سنوات ، أنظروا موقع " مونثلي ريفيو " على الأنترنت . و بالنسبة لكتابات مشابهة وموقفه من مالي

www.pambuka.org

وعن الانقلاب ، " الأمة المصرية و جيشها "

www.ahewar.org

و هذا الموقف مرتبط بوجهات نظر سمير أمين حول الإمبريالية و التطور الرأسمالي إذ كان شريكاً لأندري غاندر فرانك الذى كتب " تطوّر التخلف " و عرض أطروحات أنّ الإمبريالية تمنع التطوّر الإقتصادي لبلدان مثل البرازيل ، و هذا نسخة للنظرية التطورية الكلاسيكية الرجعية للداخل – الخارج

و التي كانت تدافع عن أنّ التطور الاقتصادي سيوفر حلاً لمشاكل هكذا بلدان. و نرى اليوم أنّ هذه النظرية لا تصمد أمام تطورات الوضع فى البرازيل .

إنّ الفكرة الخاطئة أنّ الإمبريالية تعرقل التطور قد أثرت على نظرة سمير أمين للثورة الصينية إذ رأى التطور الإقتصادي كمسألة مفتاح و أخفق فى أن يلاحظ كما يجب الاختلاف بين مشروع ماو للتطور المتوازن والمندمج خدمة لتجاوز المجتمع الطبقي و مشروع دنك سياو بينغ للتطور مهما كان الثمن . و رغم إعتبار نفسه ماويًا ، فإنّ سمير أمين إنتهى إلى دعم " أتباع الطريق الرأسمالي " الذين أطاح إنقلابهم بالإشتراكية و عكس التوجه الذى قاد فيه ماو الصين .

وهو يعير سمعته إلى الإنقلاب العسكري فى مصر ، كتب سمير أمين أنّ الأمر نفذته " الأمة المصرية وجيشها " . للطبقات الحاكمة المصرية المرتبطة بالإمبريالية جيش لا علاقة لمهمته بمصالح جماهير الشعب المصري أو الأمة المصرية . أسلحته موجّهة لقتل المصريين أو لإستعراض القوّة ، على غرار الطائرات من الدرجة الثانية التى تزوّده بها أمريكا وهي طائرات منزوعة التقنية التى يمكن غستعمالها ضد إسرائيل او ربّما تُستعمل ضد آخرين ، جيران أضعف.

الجيش المصري منظم بصورة خاصة ليس لقتال دولة على الحدود كانت قد غزت البلاد لعدّة مرّات وهي تشكّل التهديد الحقيقي الوحيد لها . أمّا بالنسبة لفكرة أنّ هناك شيئًا خاصًا بالجيش المصري لأنّ غالبية أعضائه مجنّدين فتنضارب مع حجّة أن القوات الأمريكية فى فتنام كان يمكن أن تسمّى " الجيش الشعبي " .

14- " نوع دولة جديد راديكاليّان نظرة للحرية مختلفة راديكاليًا و أعظم بكثير " ، الثورة عدد 37 ، 5 ، مارس 2006.

15- مثلاً ، أنظروا روبرا دريفوس ، " لعبة الشيطان ، كيف ساعدت الولايات المتحدة إطلاق الأصولية الإسلامية " كتب متروبوليتان سنة 2005 . لا تزال آثار سحق حركة التحرر الفلسطينية العلمانية بما فى ذلك قتل إسرائيل المنظم للمثقفين الفلسطينيين ، لا تزال محسوسة بألم فى البلدان العربية اليوم .

16- بوب أفاكيان ، " لنتخلص من كافة الآلهة ! تحرير العقول و تغيير العالم راديكاليًا " ، الصفحات 106-101 . و فى الصفحات التالية ، يواصل أفاكيان نقاش تجارب إيران و منظمّة التحرير الفلسطينية و جمال عبد الناصر .

17- و أحد أمثلة هذا الخطاب الإسلامى الذى تتسبّب فيه السوق الحرّة و إقتلاع الفلاحين من أراضيهم و الفساد الذى جلبه الغرب و نفاق مثله العليا و ممارساته و تدمير البيئة و الظروف المريعة للنساء فى ظلّ " العصرنة " ، أنظروا كتابات المغربى الشيخ عبد السلام ياسين مثل كرّاس " المرأة المؤمنة فى عالم متقلّب " (دون دار نشر ، يورّج بصورة غير رسمية) مترجم إلى أنجليزية ضمن كتاب أطول ألف سنة 1993. و قد إكتسب هذا الموقف شرعية فى صفوف بعض الناس الذين يعتبرون أنفسهم أنصارا للحركة النسوية و مناهضين للإستعمار .

18- " نوع دولة جديد راديكاليًا ... "

19- مثلما وقع الإستشهاد به فى " القانون الأساسى للحزب الشيوعى الثورى ، الولايات المتحدة الأمريكية " ، 2008 (وهو مقتطف نشر فى الأصل سنة 2004).

20- " إنهار أمريكا " ، بانار براس 1984.

21- بحث مَعْلَمٌ و تحليل العلاقة بين الإقتصاد الداخلى المصرى و الهيكلة الطبقيّة و إدماجها فى الإقتصاد الإمبريالى العالمى من تأليف كاتبين مصريين يميضان بإسم مستعار هو محمود حسين ، كانا حينها متأثرين بالماوية كما فهمها . و قدطوّرا أطروحة أنّ مصر تتميز بإنتقال غير تام إلى الرأسمالية ، بكلّ من عناصر عالية التطور من الرأسمالية الإحتكارية المرتبطة بالإمبريالية و تواصل مظاهر أخرى من الإقطاعية و ما قبل الرأسمالية ، و كلا المظهرين يعملان على تأبيد العلاقات الإجتماعية و المؤسسات السياسية و التقاليد و الأفكار المتخلفة و يحاججان أيضا بأنّ التدين البارز للبلاد يعكس ذلك الوضع الموضوعى ؛ النزاع الطبقي فى مصر 1945-1971 ، منشورات مونثلي ريفيو ، 1974.

22- " أزمة المجتمع الريفي فى مصر " ، حبيب إياب ، منشورات كرتالا ، 2010.

23- " لقد نمى إقتصاد مصر بحوالى 5 بالمائة بالمعنى الملموس كلّ سنة منذ 1980 . و من طموح كافة الدول النامية بلوغ مثل هذا المستوى من النموّ ، لا سيما حيث ذلك يفوق نموّ عدد السكّان . ومع ذلك ، فإنّ النموّ الإقتصادي المستديم بصورة فريدة أخفق فى توفير مواطن شغل و تقليص الفقر . و بارونات السرقة فى الحزب الوطنى الديمقراطى [حزب مبارك الحاكم قبلا] نجحوا فى تقديم الهدايا لأنفسهم – الرفاه و الأرض و الإسمت و الحديد و بالطبع الجيش أيضا – فى نهاية المطاف ، ألم يحصل الجيش على "العاب للصبيان " بقيمة 1.3 بليون دولار أمريكى سنويًا من الولايات المتحدة الأمريكية ، و كذلك على ضمانات مغامرات التجارة الخاصة الهائلة فى الأرض و الرفاه و التصنيع ؟ لكن الفقر المدني و الريفي - وإستبعاد غالبية المصريين من الثروة التى أنتجوها – هو الإتهام الأكبر للثلاثين سنة الماضية. فى أفضل الأحوال ، تطوّرت مصر لكن المصريين لم يتطوّروا ! مستويات البطالة قد تبلغ 50 بالمائة و الزيادات فى أسعار المواد الغذائية بعشرين بالمائة تسرّع فى تفشى الفقر و جوع الأطفال . و مسيرات الخبز أمام الخبّازين فى القاهرة فى 2008 كانت علامات أولية للنفاس المنذرة بما هو قادم" (راي بوش ؛ " مصر : ثورة مستمرة ؟ " " مجلة الإقتصاد السياسى الأفريقي " المجلد 38 ، العدد 128 ، جوان 2011).

24- إحدى التعبيرات الأكثر حيوية عن ذلك وجدت فى الأدب . فقد شهد العقد الأخير ظهور جنس أدبي مسمّى بقصة السكن و أشهر عمل لعلاء الأسوانى " عمارة يعقوبيان " ، كانت أفضل القصص العربية مبيعا لمدة سنتين (2002 – 2003) قبل تحويلها إلى فلم ثمّ إلى مسلسل تلفزيوني. و ظهر مؤلف حمدى أبو جليل " لصوص متقاعدون " سنة 2002 . كلاهما يستخدمان عمارة و سكّانها كصورة عن المجتمع المصرى. و يبحث الأسوانى عن تقديم صورة بانورامية عن كافة الطبقات الإجتماعية للبلاد فى علاقة ببناء مدينة القاهرة ، فى حين أن أبو جليل يركّز على النازحين من الريف فى الضاحية الجنوبية الفيرة حلوان ، و قد زينت حلوان مرّة على أنّها مثال للإهتمام الأبوي لنظامجمال عبد الناصر برفاه الطبقة العاملة . كلا المؤلفان يرسمان صورة عنيدة عن مجتمع فيه الأبواب أغلقت البواب و النوافذ بالمسامير و الروائح النتنة الخانقة للتعفن تملئ أجواء كلّ غرفة من قمتها إلى قاعها. وحشية النظام و فساده قد

سمّمت كلّ مظهر من مظاهر الحياة ، حتى ، و ربّما أكثر إيلاما ، العلاقات الأكثر عاديّة بين الناس .
(نشرا باللغة الأنجليزية تباعا من قبل منشورات هاربار بارانيال و الجامعة الأمريكية بالقاهرة) .

25- إعادة صياغة جمل و تلخيص لمقال " الرأسمالية الليبرالية ، الرأسمالية الهرمة و تطوّر البروليتاريا
الرثّة " ، وهو مقال نشر في الأصل في بنيتزوكا

www.pambazuka.org

و أعيد نشره على موقع

www.fsm2013.org

26- حيلي باجي ، " أمينة ، التاريخ يسير " ، لومند ، 15 جوان 2013 : " و يجب أن نضيف أنّ في
كافة المجتمعات الذكورية اليوم ، بما في ذلك تونس و فرنسا ، بلدان أين كانت حركة فيمان ناشطة ، فإنّ
التعرّي في المجالات العامة لا يمكن عادة أن يتجنّب التحديق بالنظر الذكوري و تشيئ النساء ، لذا لا
يمكن أن يكون تكتيكا عاما لتحرير النساء . "

27- النيويورك تايمز ، 17 نوفمبر 2011. و أنظروا أيضا الحوار الصحفي لعلياء امجد المهدى الذى
أعيدت طباعته ضمن كتاب إسماعيل لعشر " إنتفاضات عربية " ، ليبالا، 2013.

28- أنظروا فصل " كره جسد النساء " من كتاب لعشر " إنتفاضات عربية " . هذا السوسيولوجي
الفرنسي المولود بالجزائر بطل التنوير ، لكنه يتمتّع بصراحة الإشارة إلى أنّ ديرو مثلا ، يشاطر تماما
النظرة الإسلامية بأنّ النساء " مكملات " و ليست مساويات للرجال. و قال إنّ حتى القادة العرب
الشهيرين بالوطنية و العلمانية مثل جمال عبد الناصر و بومدين (أو بورقيبة) كانوا مساندين غير
مرتبكين للنظام الأبوي و القبليّة و الإسلام (ص 142) ، و ينفذ الإنتفاضات الحالية لكونها بعد لم تمضى
من معارضة " الطغاة " و " أنماط الحكم " إلى نوع من " التحدّي الجذري للنظام الإجتماعي " يبحث
عن وضع حدّ لطغيان الرجال على النساء في كافة مظاهر الحياة . و يدين كذلك المدافعين الغربيين عن
النسبية الثقافية لعدم تقييمهم للحركات الإجتماعية العربية على أنّها إمّا ثورية أو معادية للثورة في علاقة
بالنساء (ص 279-281) . و يندد بشدّة بإدعاء المدافعين عن النسبية الثقافية أنّه على الإنسان أن يتجنّب
المدعى " التحديق بالنظر الغربي " في قضية تحرير النساء في العالم الإستعماري الجديد – الإضطهاد
إضطهاد مهما كان من ينظر إليه. لماذا يستطيع ديمقراطي صريح أن يتخذ موقفا من هذا القبيل في حين
أنّ العديد ممّن يدعون أنّهم " إشتراكيون " و " ماركسيون " و " شيوعيون " يخفقون في القيام بذلك ؟

29- قد تفكّرون أنّه إثر الإنقلاب الذى ساعدت على إنجازه ، ستنتهى الشرطة إضرابها عن حماية النساء
من الإعتداءات و الإغتصاب في الشوارع. هذا لم يحدث . مع خروج الحشود الكثيفة لتملاً شوارع
القاهرة من الجدار إلى الجدار خلال إحتفالات عيد الفطر ، كان تعرضت نساء و صبيّات عديدات إلى
العنف الجنسي ، عادة على أيدي أطفال صغار السنّ . و شخص من المجموعات الكثيرة العاملة على
إيقاف هذه الفظائع قال : " يشعر الناس الآن أنّه من حقّهم أن يقوموا بهرسلة النساء . إن سرقت هاتفها
جوّالا تهرب ركضا على الأقدام لأنك تعلم أنّك مجرم . الآن ، عندما يهرسل أحد النساء لم يعد يلوذ

بالهرب. يقف مكانه لا غير. " و يتطوّر الكثيرون ، لا سيما النساء للإلتحاق بالمجموعات المناهضة للعنف الجنسي. لكن السلطات لا تزال تقف بعيدا . (دايلي نيوز مصر ، 14 أوت 2013).

30- بيان " من أجل تحرير النساء وتحرير الإنسانية جمعاء " ، الثورة عدد 159 ، مارس 2009. البيان بأكمله متوفّر بالعربية ترجمة شادي الشماوي ضمن كتاب " المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية " ، بمكتبة الحوار المتمدّن و كذلك على الموقع الفرعي لشادي الشماوي بالحوار المتمدّن .

31- " لم تجلب الرأسمالية تحرير النساء و لا يمكنها أن تجلبه . فالرأسمالية بالكاد غيرت أشكال إضطهاد النساء و أخفت طبيعة هيكله هذا الإخضاع النظامي و المنظم الذي تواجهه النساء و غيرهن . في حين أن النضال من أجل مساواة النساء جزء أساسي بالتأكيد في تحرير النساء ، فإنه في حدّ ذاته ليس تقريبا جذريا بما فيه الكفاية. إذا تحدّدت المعركة من أجل المساواة بالآفاق الضيقة للعالم الرأسمالي و إذا بقي النظام الرأسمالي نفسه سليما ، ستغدو النساء " في أفضل الأحوال " "مالكات" لنواتهن كسلعة ، أو يمكنهن كسب السيطرة على آخرين معاملات إباهم كسلع ، بيد أنه لن يمكنهن مطلقا الخروج عن الحدود الضيقة و التقلص لهذا النظام الإستغلالي." ؛ المصدر السابق .

32- أنظروا " الشيوعية : بداية مرحلة جديدة ، بيان للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية " (شيكاغو ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، 2009) وهو متوفّر على الأنترنت بالإنجليزية على الرابط التالي :

www.revcom.us/Manifesto/Manifesto.html

و باللغة العربية ضمن كتاب شادي الشماوي الذي مرّ بنا ذكره.

و أيضا " نعيد الأمور إلى نصابها " على موقع :

www.thisiscommunism.org

و أخيرا ، بوب أفكيان : " الثورة الثقافية في الصين ... الفنّ و الثقافة ... المعارضة و الصراع ... و المضي بالثورة نحو الشيوعية " ، في " تمايزات " مجلّة شيوعية نظرية و جدالية ، عدد 2 ، صائفة - نهاية 2012، و الرابط على الأنترنت هو :

www.demarcations-journal.org

33- " الثورة التي نحتاج و القيادة التي لدينا " ، الحزب الشيوعي الثوري ،

www.revcom.us

و بالعربية ، بكتاب شادي الشماوي المذكور أعلاه.

34- ريموند لوتا " لهوغو تشافيز إستراتيجية نفطية ... لكن هل يمكن لهذا أن يقود إلى التحرّر ؟ ، الثورة عدد 94 ، 1 جويلية 2007 . وتجدون ترجمة عربية للوثيقة بالموقع الفرعي لشادي الشماوي على الحوار المتمدّن .

35- ريموند لوتا ، " كوريا الشمالية ليست بلداً اشتراكياً " ، الثورة عدد 301 ، 14 أبريل 2013. وتجدر ترجمة عربية للوثيقة بالموقع الفرعي لشادي الشماوي على الحوار المتمدّن .

36- فى مقاله " الجغرافيا الإجتماعية و السياسية للثورة التونسية " : ثورة عشب الحلفاء " فى أوت 2013 فى " مجلة الإقتصاد السياسي الأفريقي " المذكورة أعلاه ، يستعمل أياب المقارنة المجازية بين سيدى بوزيد، المدينة اليانسة من المناطق الداخلية أين أحرق محمد بوعزيزي نفسه و أشعل الإنتفاضة التونسية ، و سيدى بوسعيد وهي منطقة غنية شمال تونس ، ليكشف عن التفاوتات الفاحشة بين المناطق الساحلية الشمالية و الشرقية لبلد موجه إلى التصدير ، و جنوب تونس و وسطها و غربها المحجوبين عن البحر . و يربط تحويل المياه لإنتاج التمور و زيت الزيتون للتصدير و للسياحة بسحق المزارعين الصغار الذين عادة ما كانوا يغذّون أنفسهم و البلاد. و فى حين تتمتع قلة من البلدان بالقدرات الفلاحية المصرية ، يبيّن أياب أنّ إرتهان تونس لتوريد الغذاء ليس النتيجة الحتمية للجغرافيا و المناخ .

37- مسألة مصادر المياه و تبعاتها الإقتصادية و الإجتماعية و البيئية تناقش مطوّلاً فى كتاب أياب " أزمة المجتمع الريفي فى مصر " . ويصوغ أياب تقييماً موجزاً لإخفاقات الناصرية فى إحداث تغيير جوهري (ص 135) : لا تصنيع حقيقي يتماشى و حاجيات الإقتصاد العام الأقلّ تطوّراً ، لا تشغيل تام لليد العاملة ، لا تحسّن فى مستوى عيش الفلاحين بالرغم من المحاولات الشديدة للإصلاح الزراعي . لقد إفتكت إسرائيل شبه جزيرة سينا و إحتلتها عقب الهزيمة المدمّرة فى حرب 1967 التى أعلنت بداية نهاية الناصرية ، و جرى التخلّى عن تحرير فلسطين . و الكتاب المذكور أنفاً ، " النزاع الطبقي فى مصر 1945-1971 " يوفّر مزيداً من التحليل النظري للناصرية . و يناقش بوب أفاكين الخلاصات العلمية و الخلاصات الخاطئة لتجربة جمال عبد الناصر فى كتاب " لنتخلص من كافة الآلهة ! تحرير العقل و تغيير العالم راديكالياً ! " ، إنسايت براس ، 2008 ، ص 107-109.

38- " مصر 2011: الملايين إنتفضت ببسالة ...أما المستقبل فلم يكتب بعدُ " ، الثورة عدد 224 ، فيفري 2011 .

39- " من إيران إلى الرفاق الثوريين فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا " ، بيان للحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي - اللينيني - الماوي) بمناسبة غرّة ماي 2011 وفيه تتم الإشارة إلى أنّ فى إيران: " و قد جرت معالجة الأزمة الثورية التي أفرزها الصراع الطبقي فى المجتمع على نحو سلبي كانت نتيجته ثلاثة عقود من الأزمات عانت منها الطبقة العاملة و الشعب الإيراني و كان لها الوقع السلبي الهائل على تيار الثورة فى الشرق الأوسط و كذلك عبر العالم إذ هي عزّزت الجوّ العام للثورة المضادة." و يشرح أيضا : " إذا إفتقد الشعب حركة شيوعية ثورية قادرة على تقديم إجابات على " ما الذى نريده" إنطلاقاً من موقف البروليتاريا و المضطهدين و المستغلّين الآخرين فى المجتمع و قيادة الجماهير فى القتال من أجل هذا الهدف ، إذا إفتقدنا ذلك ، فإنّ الطبقات الرجعية و ممثليها سيفرضون أجندتهم الخاصة على الجماهير و يقولون لها " ما الذى يجب أن تريد ... هذان طريقان مختلفان راديكالياً. لنن كسب الطريق الثاني ، لا ظلّ للشك أنّ وجه هذه المنطقة و العالم سيتغيّر لصالح شعوب هذه المنطقة و شعوب العالم. غير أنّه لجعل الطريق الثاني المنتصر ، ينبغى أن يتوصّل ملايين الناس إلى معرفة ما هي الثورة الحقيقية و ما هي طبيعة المجتمع الذى يحتاجون إليه و يريدونه و ما هي طبيعة القيادة الطبقيّة التي بمقدورها أن تقود نحو تحقيق ذلك. ودون إكتساب الملايين للوعي على هذا النحو و تنظيم صفوفهم للقتال من أجل هذا الهدف ، بإمكان الأعداء أن يبيعوا أي شيء للناس باسم "

الثورة". و قد رأينا هذا في حال الثورة الإيرانية لسنة 1979. و بالنتيجة ، في إيران ، ظلّ الوضع
جوهرياً على حاله و حتى صار أسوأ."

(للإطلاع على الوثيقة بأكملها ، أنظروا

www.sarbedaran.org

و أنقروا على " لغات أخرى " للحصول على ترجمة إلى الإنجليزية و أخرى إلى العربية).

=====++=====